كتاب عيادة المريض وتشييع الميت

١٤٤ـ الصلاة على الميت وحضور دفنه والمكث عند قبره بعد دفنه

١/٨٩٤ ـ عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ بِعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَإِبْرَارِ المُقْسِمِ، وَنَصْرِ المَظْلُومِ، وإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ. متفق عليه[1].

الشرح

سبق لنا ـ في رياض الصالحين لمؤلفه النووي رحمه الله ـ عدة أبواب مفيدة وكلها تتعلق بالأحياء ثم ذكر رحمه الله ـ في هذا الباب ـ حكم عيادة المريض وتشييع الجنائز.

عيادة المريض: ذهب بعض العلماء إلى أنها فرض كفاية، فإذا لم يقم بها أحد؛ فإنه يجب على من علم بحال المريض أن يعوده؛ لأن النبي ﷺ جعل ذلك من حقوق المسلم على أخيه، ولا يليق

(١) رواه البخاري، كتاب الأشربة، باب آنية الفضة، رقم (٥٢٠٤)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال، رقم (٣٨٤٨).

بالمسلمين أن يعلموا أن أخاهم فلانًا مريض ولا يعوده أحد منهم؛ لأن هذه قطيعة وأي قطيعة!

وهذا القول هو الراجح: أن عيادة المرضى فرض كفاية، ومن المعلوم أن غالب المرضى يعودهم أقاربهم وأصحابهم وتحصل بذلك الكفاية، لكن لو علمنا أن أحدًا أجنبيًّا في البلد مريضٌ ليس معروفًا، وقد تعلم أنه لم يعده أحد؛ فإن الواجب عليك أن تعوده؛ لأن ذلك من حقوق المسلمين بعضهم على بعض.

والمستحب لمن عاد المريض أن يسأل عن حاله: **كيف أنت؟** وعن أعماله: **كيف تتوضأ؟ كيف تصلي؟** وعن معاملاته: **هل لك حقوق على الناس؟ أو هل للناس حقوق عليك؟** ثم إذا قال: نعم تقول له: أوص بما عليك؛ لأن النبي ﷺ قال: «**ما من امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده**»[1] ولا تُلح عليه في المسألة، ولا سيما إذا كان مرضه شديدًا؛ لأنه ربما يضجر ويتعب، ولا تطل الجلوس عنده؛ لأنه ربما يكون يمل؛ لأن حال المريض غير حال الصحيح، فربما يمل، ويحب أن تقوم عنه ليأتي إليه أهله وما أشبه ذلك، ولكن إذا رأيت من المريض أنه مستأنس

(١) رواه البخاري، كتاب الوصايا، باب الوصايا، رقم (٣٥٣٣)، ومسلم، كتاب الوصية، باب منه، رقم (٣٧٠٥).

بك، ويفرح أن تبقى، وأن تطيل الجلوس عنده، فهذا خير ولا بأس به، وهذا ربما يكون سببًا في شفائه؛ لأن من أسباب الشفاء إدخال السرور على المريض، ومن أسباب دوام المرض وزيادته إدخال الغمِّ على المريض، فمثلاً لو جئت المريض وقلت له: والله أنت اليوم أحسن من أمس، حتى وإن لم يكن أحسن من جهة الطب.

لكن تقول: أحسن من أمس؛ لأنه زاد خيرًا، ما بين أمس واليوم صلَّى خمس صلوات، استغفر، كبّر، هلّل، كذلك زاد أجرًا بالمرض، فتقول: أنت أحسن من أمس باعتبار أنه كسب خيرًا في بقائه ما بين أمس واليوم، وذلك حتى يدخل عليه السرور، أما أن تقول: والله إنك اليوم وجهك مُجْهد، أنت أمس أحسن من اليوم، فهذا خطأ حتى ولو كان الأمر كذلك؛ لأن هذا لا ينفع، إن لم يضر لن ينفع، لكن أدخل عليه السرور ما استطعت، كذلك إذا كان المريض ممن يحب القصص وبعض الناس يحب القصص ـ أقصد بها ما يسميها بعضهم السوالف، وهو حق ليست بكذب ـ فإذا رأيت أن هذه القصص تدخل عليه السرور فلا بأس أن تقص عليه منها، فهذا أيضًا جيد طيب؛ لأن إدخال السرور على المريض مهم، وإذا أردت أن تقوم واستأذنته فلتقل: أتأذن لي؟ فإن هذا أيضًا مما يسره؛ لأنه ربما يود أن تبقى فيقول لك: لا.. ابقَ. أو يقول: المحل

محلك، فهو إذًا قال: المحل محلك.. يعني أنه أذن لك، لكن قد يكون يحب أن تبقى.

ثم احرص غاية الحرص على أن توجهه إلى فعل الخير وقول الخير في هذا المرض، فيتفرغ للذكر، والدعاء، وقراءة القرآن، وما أشبه ذلك تنبهه على فعل هذا الخير لعله ينتبه ويكون لك أجر السبب، نسأل الله تعالى أن يجعلنا مباركين أينما كنا، والله الموفق.

* * *

٢/٨٩٥ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلام، وَعِيَادَةُ المريضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وإجَابَةُ الدَّعْوةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ» متفقٌ عليه[(١)].

الشرح

قال المؤلف النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين في كتاب عيادة المريض وتشييع الجنازة. يُقال: عيادة، وزيارة، وتشييع. الزيارة للصحيح إذا زرت أخًا لك في الله في بيته في مكانه فهذه زيارة، والعيادة للمريض؛ لأن الإنسان يعيدها ويكررها ما دام

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، رقم (١١٦٤)، ومسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، رقم (٤٠٢٢).

أخوه مريضًا. وتشييع الجنازة اتباعها.

ثم ذكر المؤلف حديث البراء بن عازب وقد سبق الكلام على أكثره، والشاهد منه قوله: وعيادة المريض: فعيادة المريض أمر بها النبي ﷺ وهي فرض كفاية ـ إذا قام بها من يكفي؛ سقط عن الباقين، وإذا لم يقم بها أحد؛ وجب على من علم حال أخيه أن يعوده ـ ثم إن المراد بالمريض الذي يعاد هو الذي انقطع في بيته، ولا يخرج، وأما المريض مرضًا خفيفًا لا يعوقه عن الخروج ومصاحبة الناس، فإنه لا يعاد لكن يسأل عن حاله إذا علم به الإنسان.

وللعيادة آداب كثيرة منها:

١ ـ أن ينوي الإنسان بها امتثال أمر النبي ﷺ، فإن النبي ﷺ أمر بها.

٢ ـ ومنها أن ينوي الإحسان إلى أخيه بعيادته، فإن المريض إذا عاده أخوه؛ وجد في ذلك راحة عظيمة وانشراح صدر.

٣ ـ ومنها أن يستغل الفرصة في توجيه المريض إلى ما ينفعه فيأمره بالتوبة والاستغفار والخروج من حقوق الناس.

٤ ـ ومنها أنه ربما يكون على المريض إشكالات في طهارته أو صلاته أو ما أشبه ذلك، فإذا كان العائد طالب علم انتفع به المريض؛ لأنه لابد أن يخبره عما ينبغي أن يقوم به من طهارة وصلاة

أو يسأله المريض.

٥ ـ ومنها أن الإنسان ينظر للمصلحة في إطالة البقاء عند المريض أو عدمها. وهذا القول هو القول الصحيح، وذهب بعض العلماء إلى أنه ينبغي تخفيف العيادة، وألا يثقل على المريض، لكن الصحيح أن الإنسان ينظر للمصلحة: إذا رأى أن المريض مستأنس منبسط منشرح الصدر، وأنه يحب أن يبقى عنده الذي يعوده، فليتأنَّ لما في ذلك من إدخال السرور على المريض، وإن رأى أن المريض متضجر وأنه يرغب أن يقوم الناس عنه حتى يأتيه أهله ويصلحوا حاله؛ فإنه يقوم ولا يتأخر.

٦ ـ ومنها أن يتذكر الإنسان نعمة الله عليه بالعافية، فإن الإنسان لا يعرف قدر نعمة الله عليه إلا إذا رأى من ابتلى بفقدها، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء.

فتحمد الله ـ سبحانه وتعالى ـ على العافية، وتسأله أن يديم عليك النعمة.

٧ ـ ومنها ما يرجى من دعاء المريض للعائد، ودعاء المريض حري بالإجابة؛ لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عند المنكسرة قلوبهم من أجله، والمريض من أشد الناس ضعفًا في النفس، ولا سيما إذا طال به المرض أو ثقل به المرض فيرجى إجابة دعوة هذا المريض.

وهناك فوائد أكثر مما ذكرنا؛ لذلك ينبغي للإنسان أن يحرص على عيادة المرضى في منازلهم لما في ذلك من الأجر الكثير والثواب العظيم.

أما تشييع الجنازة فيأتي الكلام عليه إن شاء الله.

* * *

٨٩٦/٣ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: «يَا ابْنِ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْني! قال: يَا رَبِّ كيف أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالِمين؟! قال: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَني عِنْدَهُ؟ يا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمنِي! قال: يَا رَبِّ كَيْف أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالِمِينَ؟ قال: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تَطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذلكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقني! قال: يَا رَبِّ كَيْف أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالِمينَ؟! قال: اسْتسْقَاكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ! أَمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذلكَ عِنْدِي؟» رواه مسلم[١].

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، رقم (٤٦٦١).

الشرح

هذا الحديث الذي ذكره الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في رياض الصالحين في باب عيادة المريض وتشييع الميت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى يوم القيامة: «يا ابن آدم مرضت فلم تعدني»؛ قال: كيف أدعوك وأنت رب العالمين؟ يعني: وأنت لست بحاجة إلي حتى أعودك. قال: «أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده؟ أما إنك لو عدته لوجدتني عنده» هذا الحديث ليس فيه إشكال في قوله تعالى: «مرضت فلم تعدني» لأن الله تعالى يستحيل عليه المرض؛ لأن المرض صفة نقص، والله سبحانه وتعالى منزه على كل نقص قال الله تبارك وتعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات: ١٨٠]، لكن المراد بالمرض: مرض عبد من عباده الصالحين، وأولياء الله ـ سبحانه وتعالى ـ هم خاصته، ولهذا جاء في الحديث الصحيح القدسي أيضًا: «من عادى لي وليًا؛ فقد آذنته بالحرب»[1]. يعني أن الذي يعادي أولياء الله محارب لله عزَّ وجلَّ ـ مع أنه ـ وإن كان لم يعادِ الله على زعمه ـ لكنه إذا عادى أولياءه وحاربهم، فقد عاداه وحاربه، كذلك إذا مرض عبد من عباد الله الصالحين؛ فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يكون عنده،

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (٦٠٢١).

ولهذا قال: «أما إنك لو عدته لوجدتني عنده» ولم يقل: لوجدت ذلك عندي كما قال في الطعام والشراب بل قال: «لوجدتني عنده» وهذا يدل على قرب المريض من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ولهذا قال العلماء: إن المريض حري بإجابة الدعاء إذا دعا لشخص، أو دعا على شخص، وفي هذا دليلٌ على استحباب عيادة المريض، وأن الله سبحانه وتعالى عند المريض وعند من عاده؛ لقوله: «لوجدتني عنده» وقد سبق لنا كيف تكون عيادة المريض؟ وماذا ينبغي أن يقوله له العائد، ويوصيه به.

«يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني» يعني طلبت منك طعامًا فلم تطعمني، ومعلوم أن الله تعالى لا يطلب الطعام لنفسه؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]، فهو غني عن كل شيء لا يحتاج إلى الطعام ولا إلى الشراب، لكن جاع عبد من عباد الله فعلم به شخص فلم يطعمه، قال الله تعالى: «أما إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي» يعني: لوجدت ثوابه عندي مدخرًا لك، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وفي هذا دليلٌ على استحباب إطعام الجائع، وأن الإنسان إذا أطعم الجائع وجد ذلك عند الله.

«يا ابن آدم استسقيتك ـ أي طلبت منك أن تسقيني ـ فلم تسقني» قال: كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟! يعني لست في حاجة إلى

طعام ولا شراب قال: «أما علمت أن عبدي فلانًا استسقاك فلم تسقه، أما علمت أنك لو أسقيته لوجدت ذلك عندي» ففيه أيضًا دليل على فضيلة إسقاء من طلب منك السقيا، وأنك تجد ذلك عند الله تعالى مدخرًا لك، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

والشاهد من هذا الحديث الجملة الأولى منه، وهي قوله: «مرضت فلم تعدني» ففيه دليلٌ على استحباب عيادة المريض، هذا ولا ننسى ما سبق من أن الإنسان إذا عاد المريض ينبغي عليه أن يسأله عن حاله، وعن طهارته: ماذا يفعل بالطهارة؟ ماذا يفعل بالصلاة؟ ويعلمه كيف يتطهر وكيف يصلي؟ وأيضاً ينبغي له أن يذكره بأن يعمر أوقاته بالذكر والاستغفار وقراءة القرآن، وأنه إذا كان له وصية يريد أن يوصي فليكتبها. والله الموفق.

* * *

٤/٨٩٧ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عُودُوا المَرِيضَ، وأَطْعِمُوا الجَائِعَ، وَفُكُّوا الْعَانِي» رواه البخاري[١].

«العَاني»: الأسير.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب قول الله تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ رقم(٤٩٥٤).

٥/٨٩٨ ـ وَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ، إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ في خُرْفَةِ الجَنَّة حَتَّى يَرْجِعَ» قِيلَ: يا رسولَ الله وَمَا خُرْفَةُ الجَنَّةِ؟ **قال: «جَنَاهَا» رواه مسلم**[1].

«جناها» أي ما اجتنى من الثمر.

الشرح

ذكر المؤلف رحمه الله في كتاب رياض الصالحين في باب عيادة المريض وتشييع الميت. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«عودوا المريض، وأطعموا الجائع، وفكّوا العاني»** هذه ثلاثة أشياء أمر بها النبي ﷺ:

أولاً: عودوا المريض: وقد سبق أن عيادة المريض فرض كفاية يجب على المسلمين أن يعودوا مرضاهم. فإذا لم يقم أحد بذلك؛ وجب على من علم بالمريض أن يعوده؛ لأن ذلك من حق المسلم على إخوانه.

ثانيًا: وأطعموا الجائع: فإذا وجدنا إنسانًا جائعًا؛ وجب علينا جميعًا أن نطعمه، وإطعامه فرض كفاية إذا قام به من يكفي؛ سقط عن الباقين، فإن يقم به أحد؛ تعيّن على من علم بحاله أن يطعمه، وكذلك أيضًا كسوة العاري، إذا وجدنا شخصًا عاريًا فإن الواجب

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، رقم (٤٦٥٨).

على المسلمين أن يكسوه، وهو فرض كفاية إذا قام به من يكفي؛ سقط عن الباقين.

ثالثًا: وفكوا العاني: يعني الأسير، يعني فكوا الأسير الذي عند الكفَّار من الأَسْر، فإذا اختطف الكفار رجلاً مسلمًا؛ وجب علينا أن نفك أسره، وكذلك لو أسروه في حرب بينهم وبين المسلمين فإنه يجب علينا أن نفك أسره، وفك أسره فرض كفاية، إذا قام به من يكفي؛ سقط عن الباقين وإلا أثم الجميع.

ثم ذكر حديث ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا عاد المسلم أخاه المسلم - يعني في مرضه فإنه لا يزال في خُرفة الجنة**» قيل: وما خُرفة الجنة؟! قال: «**جناها**» يعني أنه يجني من ثمار الجنة مدة دوامه جالسًا عند هذا المريض.

وقد سبق أن الجلوس عند المريض يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، فقد يكون الجلوس عند المريض مطلوبًا، وقد يكون غير مطلوب، فإذا علمنا أن المريض يأنس بهذا الرجل، وأنه يحب أن يتأخر عنده؛ فالأفضل أن يتأخر، وإذا علمنا أن المريض يحب أن يخفف العائد؛ فإنه لا يتأخر فلكل مقام مقالَ. وفي هذا الحديث الثاني دليلٌ على فضل عيادة المريض، كلنا يحب أن يغترف من ثمار الجنة وهذا من أسبابها. والله الموفق.

٦/٨٩٩ ـ وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: مَا مِنْ مُسلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِي، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَك حَتَّى يُصْبحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الجنَّةِ» رواه الترمذي[١]، وقال: حديث حسن. «الخريفُ» التمرُ المَخرُوفُ، أي: المُجْتَنَى.

٧/٩٠٠ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاه النَّبيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأسِهِ فقال لَهُ: «أَسْلِمْ» فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ؟ فَقَالَ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ» رواه البخاري[٢].

الشرح

نقل النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين في باب عيادة المريض وتشييع الميت عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة؛ إلا صلّى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وكذلك إن عاده في المساء صلّى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان في خرفة الجنة» . هذا

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عيادة المريض، رقم (٨١١).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه...، رقم (١٢٦٨).

الحديث له شاهد مما سبق أن الإنسان إذا عاد أخاه المريض؛ فهو في خرفة الجنة يعني في جناها وفضل الله واسع.

وأما استغفار الملائكة له فهذا فيه نظر؛ لأن من قواعد الحديث الضعيف عند العلماء كثرة الثواب في عمل يسير جدًّا، ولكننا نقول: إنه ما دام قد ثبت أصل مشروعية عيادة المريض؛ فإن ذكر الفضائل ـ إذا لم يكن الضعف شديدًا ـ مما يساعد على فعل ما رغب فيه وينشط الإنسان، ويرجو الإنسان ثواب ذلك ـ إن كان هذا الحديث ثابتًا عن النبي ﷺ حصل للإنسان ما دلَّ عليه، وإن لم يكن ثابتًا؛ فإنه لا يزيده إلا رغبة في الخير، وعلى كل حال فهو يدل على فضيلة عيادة المريض، وأنه إن كان في الصباح؛ فله هذا الأجر، وإن كان في المساء فله هذا الأجر.

أما حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن غلامًا يهوديًّا كان يخدم النبي ﷺ فمرض هذا الغلام فعاده النبي ﷺ فجلس عند رأسه وقال له: «أسلم» فنظر إلى أبيه ـ يعني كأنه يستشيره ـ فقال له أبوه ـ وهو يهودي ـ: «أطع أبا القاسم»؛ لأن اليهودي يعلم أنه الرسول، ويدري أنه حق، فقال لابنه: أطع أبا القاسم، فأسلم هذا الغلام، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار».

ففي هذا الحديث عدة فوائد منها:

١ ـ جواز استخدام اليهودي، يعني أن يستخدمهم الإنسان ويجعلهم خدمًا عنده، وهذا بشرط أن يأمن من مكره؛ لأن اليهود أصحاب مكر وخديعة وخيانة لا يكادون يوفون بعهد ولا يؤدون أمانة، لكن إذا أمنه فلا بأس من أن يستخدمه.

٢ ـ وفيه أيضًا دليلٌ على جواز عيادة المريض اليهودي؛ لأن النبي ﷺ عاد هذا الغلام، ولكن يحتمل أن تكون عيادة النبي ﷺ له كانت من أجل خدمته إياه، وأن هذا من باب المكافأة على المعروف، وعلى هذا فلا يكون الحكم عامًّا لكل يهودي أن تعوده، ويحتمل أن الرسول ﷺ عاده ليعرض عليه الإسلام، فتكون عيادة المريض اليهودي ـ أو غيره من الكفار ـ تكون مستحبة إذا كان الإنسان يريد أن يعرض عليهم الإسلام، فينقذهم الله به من النار، وقد قال النبي ﷺ: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم**»[١].

يعني: إذا هدى الله بك رجلاً واحدًا من الكفر خير لك من الإبل الحمر التي هي أغلى أنواع الإبل عند العرب.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد، رقم (٨٧١)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، رقم (٤٤٢٣).

٣ ـ وفيه دليلٌ على أنه ينبغي على من عاد المريض أن يرشده إلى الحق ويبينه له الحق ويرغبه فيه، فإذا كان ـ مثلاً ـ يعلم أنه ـ أي المريض ـ صاحب تقصير يقول له: «يا فلان استغفر الله، تب إليه» ويعرض عليه الأشياء التي تنفعه، فلا يبقى عنده يقص قصص الأولين والآخرين دون أن ينفعه في دينه، فأحسن ما تهدي للمريض هو أن تنفعه في دينه. أما القصص فهذه لها وقت آخر، لكن اغتنم الفرصة، قل: «يا فلان! استغفر الله، تب إليه، إذا كان لأحد عليك مظلمة أدّها إليه، وإن كان عندك تقصير في واجب فأتمه. . . وهلم جرًّا».

٤ ـ وفيه دليلٌ أيضًا على أن الأب قد يؤثر ابنه بالخير وهو لا يفعله، فهذا اليهودي أشار على ابنه أن يطيع أبا القاسم ﷺ ويسلم، ولكنه هو لم يسلم، فالأب قد يحب لولده شيئًا يرى أنه الخير وهو محرومٌ منه والعياذ بالله.

٥ ـ وفيه دليلٌ على أن النبي ﷺ حق، ويدل لذلك أن اليهودي قال لابنه: أطع أبا القاسم، والحق ما شهدت به الأعداء، ومعلوم أن اليهود والنصارى يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وإنما كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم؛ لأن الله قال:

﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ معروف مذكور باسمه العلم ﷺ. ﴿مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، هم يعرفون هذا، لكنَّ الحسدَ ـ والعياذ بالله ـ والاستكبارَ منعهم من أن يؤمنوا بالرسول ﷺ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ [البقرة: ١٠٩]، نسأل الله السلامة.

وعلى هذا فإذا مرض إنسان كافر؛ فلك أن تعوده إذا رجوت من هذه العيادة خيرًا، بأن تعرض عليه الإسلام لعله يسلم.

فهؤلاء العمال الذين عندنا الآن من الكفار ـ وهم كثيرون ـ لا ينبغي أن نتركهم هكذا، وأن نجعلهم في منزلة البهائم يعملون لنا دون أن ندلَّهم على الحق، فهم لهم حق علينا واجب: أن ندعوهم للإسلام، ونبيِّن لهم الحق، ونرغِّبهم فيه، حتى يسلموا، أما أن يكون عندنا هذا العدد الهائل من الكفار من النصارى والبوذيين وغيرهم ثم لا نجد من يسلم منهم إلا واحدًا بعد واحد بعد عدة أيام فهو دليل على ضعف الدعوة عندنا، وأننا لم نحاول أن ندعوهم للإسلام، وهذا ـ لا شك ـ أنه تقصير منا، وإلا فإن العامل جاء

يتكفف الناس في الواقع جاء يريد لقمة العيش، فليس عنده دافع الاستكبار، فلو أننا دعوناه باللين ورغبناه؛ لحصلنا خيرًا كثيرًا، واهتدى على أيدينا أناس كثيرون، ولكنَّا في غفلة عن هذه الدعوة إلى الحق، والذي ينبغي لنا أن ننتهز الفرص في مثل هذه الأمور، والله الموفق.

* * *

١٤٥ ـ باب ما يُدعى به للمريض

١/٩٠١ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى الإِنْسَانُ الشيء منه، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ، قال النَّبِيُّ ﷺ بِأُصْبُعِهِ هكذا، وَوَضَعَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ الرَّاوِي سَبَّابَتَهُ بِالأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا وقال: «بِسْمِ اللهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشفَى بِهِ سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا» متفقٌ عليه[1].

٢/٩٠٢ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعُودُ بَعْضَ أَهْلِهِ يَمْسَحُ بِيَدِهِ اليُمْنى ويقولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ الْبَأسَ، وَاشْفِ، أَنْتَ الشَّافِي لا شِفَاءَ إِلاَّ شِفاؤُكَ، شِفَاءً لا يُغادِرُ سَقَمًا» متفقٌ عليه[2].

الشرح

لما ذكر المؤلف النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين ما يدل على استحباب عيادة المريض ذكر ما يُدعى له للمريض وما يفعل به، فذكر حديثين عن عائشة رضي الله عنها.

أما الأول: فإنه إذا كان في الإنسان المريض جرح أو قرحة أو نحو ذلك فإن النبي ﷺ يبل أصبعه ثم يمسح بها الأرض فيأخذ من

---

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب رقية النبي...، رقم (٥٣٠٤)، ومسلم، كتاب السلام، باب استحباب الرقية...، رقم (٤٠٦١).

(٢) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب دعاء العائد للمريض، رقم (٥٢٤٣).

التراب بهذا البلل ثم يمسح به الجرح ويقول: «تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفى بها سقيمنا، بإذن ربنا» وهذا يدل على أنه ينبغي للإنسان أن يداوي الجرح بمثل ذلك، بل يبل أصبعه ثم يمسح به الأرض ذات التراب، ثم يقول ما ورد عن النبي ﷺ، ووجه ذلك أن التراب طهور كما قال النبي ﷺ: «جعلت تربتها لنا طهورًا»[1] وريق المؤمن طاهر أيضًا، فيجتمع الطهوران مع قوة التوكل على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ والثقة به فيشفى بها المريض، ولكن لابد من أمرين:

الأمر الأول: قوة اليقين في هذا الداعي بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ سوف يشفي هذا المريض بهذه الرقية.

والأمر الثاني: قبول المريض لهذا وإيمانه بأنه سينفع.

أما إذا كانت المسألة على وجه التجربة؛ فإن ذلك لا ينفعه؛ لأنه لابد من اليقين من أن ما فعله النبي ﷺ خير، ولابد أن يكون المحل قابلاً ـ وهو المريض ـ يكون مؤمنًا بفائدة ذلك، أما إذا كان غير مؤمن فإنه لن ينتفع؛ لأن الذين في قلوبهم مرض لا تزيدهم الآيات إلا رجسًا إلى رجسهم، والعياذ بالله.

أما الحديث الثاني: فإنه كان إذا عاد بعض أهله يقول: «اللهم رب النَّاس، أذهب البأس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا

---

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد. . .، باب منه، رقم (٨١١).

شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا» ويمسح بيده اليمنى. يعني: يمسح المريض، ويقرأ عليه هذا الدعاء: «اللهم رب الناس أذهب البأس» فيتوسل إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بربوبيته العامة، فهو الرب ـ سبحانه وتعالى ـ الخالق المالك المدبر لجميع الأمور، فأنت ـ أيها المريض ـ تقول: خلقني الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ولا بأس بي ثم قدر علي المريض، والذي قدر علي المرض بعد الصحة قادر على أن يرفع المرض إلى صحة؛ لأنه رب الناس يفعل ما شاء عزَّ وجلَّ.

«أذهب البأس» يعني: المرض الذي حلَّ بهذا المريض.

«واشف أنت الشافي»، والشفاء: إزالة المرض وبرء المريض، فيقال: اشف ولا يُقال أشف، لأنك إذا قلت: أشف، صار معناه أهلك، وأما إذا قلت: اشف، فمعناها البرء يعني من السقم، ولهذا يقال: «اللهم اشف فلانًا ولا تُشفه» الكلمتان ـ عند العوام ـ يظن أن معناهما واحد، ولكن بينهما فرق عظيم: اللهم اشفه يعني: أبرئه من المرض، أما أشفه: أهلكه.

«الشافي» من أسماء الله ـ عزَّ وجلّ ـ؛ لأنه هو الذي يشفي المرض، وما يصنع من الأدوية أو يقرأ من الرقى فما هو إلا سبب قد ينفع وقد لا ينفع، فإن الله هو المسبب ـ عزَّ وجلَّ ـ ولهذا ربما يمرض رجلان بمرض واحد، يداوى الرجلان بدواء واحد، وعلى

وصفة واحدة فيموت هذا، ويسلم هذا؛ لأن الأمر كله بيد الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فهو الشافي، وما يُفعل من الرقى أو من الأدوية فإنما هو سبب ولكننا مأمورون بالسبب كما قال النبي ﷺ: «تداووا، ولا تتداووا بحرام»[١] وقال: «ما أنزل الله داء إلا وأنزل له دواء»[٢].

وقوله: «لا شفاء إلا شفاؤك» صدق النبي ﷺ فلا شفاء إلا شفاء الله، فشفاء الله لا شفاء غيره، وشفاء المخلوقين ليس إلا مجرد سبب، والشافي هو الله عزَّ وجلَّ فليس الطبيب الذي يشفيك وليس الدواء، بل الطبيب سبب، والدواء سبب، والشافي هو الله.

وقوله: «شفاء لا يغادر سقمًا» يعني: شفاء كاملاً لا يبقى سقمًا أي: لا يبقي مرضًا. فينبغي للإنسان إذا عاد المريض أن يمسحه بيده اليمنى، ويقول هذا الدعاء: «اللهم ربَّ الناس أذهب البأس، اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا»، والله الموفق.

* * *

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة. . .، رقم (٣٨٧٤).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٥٠)، وابن ماجه، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء. . .، رقم (٣٤٣٨).

٤/٩٠٤ ـ وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: عَادَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا» رواه مسلم[1].

٥/٩٠٥ ـ وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعًا يَجِدهُ فِي جَسَدِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي يَأْلَمُ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بَسْمِ اللهِ ـ ثلاثًا ـ وَقُلْ سَبْع مَرَّاتٍ: أعوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وأُحَاذِرُ» رواه مسلم[2].

٦/٩٠٦ ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْهُ أَجَلُهُ، فقالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللهَ العظيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظيمِ أَنْ يَشْفِيكَ: إلا عَافَاهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ المَرَضِ» رواه أبوداود والترمذي[3]: وقال: حديث حسن، وقال الحاكم: حديثٌ صحيح على شرط البخاري.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الوصايا، باب الوصية بالثلث. . .، رقم (١٦٢٨).

(٢) رواه مسلم، كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء. . .، رقم (٢٢٠٢).

(٣) رواه أبوداود، كتاب الجنائز، باب الدعاء للمريض عند العيادة. . .، رقم (٣١٠٦)، والترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في التداوي بالعسل. . .، رقم (٢٠٨٣)، والحاكم، كتاب الجنائز، رقم (١٢٦٨).

الشرح

هذه الأحاديث فيما يقال عند المريض إذا عاده الإنسان ذكرها النووي ـ رحمه الله ـ في كتاب رياض الصالحين.

حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ عاده في مرضه فقال: «اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا» ثلاث مرات، ففي هذا الحديث دليلٌ على أن من السنة أن يعود الإنسان المريض المسلم، وفيه أيضًا حسن خلق النبي ﷺ ومعاملته لأصحابه، فإنه كان ﷺ يعود مرضاهم ويدعو لهم، وفيه أنه يستحب أن يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اشف فلانًا» وتسميه، اللهم اشف فلانًا، اللهم اشف فلانًا، ثلاث مرات، فإن هذا مما يكون سببًا لشفاء المريض، وفيه أيضًا دليل على أن الإنسان يكرر الدعاء، لقد كان الرسول ﷺ إذا دعا يدعو ثلاثًا، وإذا سلَّم سلَّم ثلاثًا وتكرار الدعاء ثلاثًا من الأمور المشروعة كما كان ﷺ في الصلاة يقول: «رب اغفر لي، رب اغفر لي، رب اغفر لي»[1] يكرر. هكذا أيضًا يكرر الدعاء للمريض.

ثم ذكر المؤلف حديث عثمان بن أبي العاص أن النبي ﷺ سأله

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٣١٥)، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما يقول بين السجدتين...، رقم (٨٩٧).

عثمان أنه يشكو من مرض في جسده، فأمره النبي ﷺ أن يقول هذا الدعاء: «بسم الله ثلاثًا، ويضع يده على موضع الألم ثم يقول: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»، يقولها سبع مرات، فهذا من أسباب الشفاء أيضًا، فينبغي للإنسان إذا أحس بألم أن يضع يده على هذا الألم ويقول: «بسم الله ثلاثًا، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»، يقولها سبع مرات، إذا قاله موقنًا بذلك مؤمنًا به وأنه سوف يستفيد من هذا فإنه يذهب الألم بإذن الله عزَّ وجلَّ، وهذا أبلغ من الدواء الحسي وأبلغ من الأقراص، والشراب والإبر؛ لأنك تسأل أو تستعين بمن بيده ملكوت السموات والأرض، بالذي أنزل هذا المرض، هو الذي يجيرك منه.

كذلك أيضًا حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن الإنسان إذا زار مريضًا لم يحضر أجله ـ يعني ليس الذي فيه مرض الموت ـ فقال: «أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ويعافيك سبع مرات إلا شفاه الله من ذلك المرض» هذا إذا لم يحضر الأجل، أما إذا حضر الأجل فلا ينفع الدواء ولا القراءة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤]، والله الموفق.

* * *

٩٠٧/٧ ـ وَعَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابيٍّ يَعُودُهُ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَنْ يَعُودُهُ قَالَ: «لاَ بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ» رواه البخاري[١].

الشرح

نقل المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين فيما يدعى به للمريض. عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده وكان إذا دخل على مريض يعوده يقول: «لا بأس طهور إن شاء الله».

«لا بأس» يعني: لا شدة عليك ولا أذى. «طهور» يعني: هذا طهور إن شاء الله، وإنما قال النبي ﷺ: «إن شاء الله»؛ لأن هذه جملة خبرية وليست جملة دعائية؛ لأن الدعاء ينبغي للإنسان أن يجزم به، ولا يقل إن شئت، ولهذا نهى النبي ﷺ أن يقول الرجل: «اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت»[٢] لا تقل هذا؛ لأن الله لا مكره له، إن شاء غفر لك ورحمك، وإن شاء لم يغفر ولم يرحم، فلا يقال إن شئت إلا لمن له مكره، أو لمن يستعظم العطاء،

---

(١) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب ما يقال للمريض وما يجيب...، رقم (٥٦٦٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت...، رقم (٢٦٧٩).

والله سبحانه وتعالى لا يتعاظمه شيء، فإذا سألت الله فلا تقل: إن شئت.

أما قول إن شاء الله في قول النبي ﷺ «لا بأس طهور إن شاء الله» فهذا لأنه خبر وتفاؤل فيقول: لا بأس، بأن ينفي أن يكون به بأس، ثم يقول: «إن شاء الله»؛ لأن الأمر كله بمشيئة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

فيؤخذ من هذا الحديث أنه ينبغي لمن عاد مريضًا إذا دخل عليه أن يقول: «لا بأس، طهور إن شاء الله».

* * *

٨/٩٠٨ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ قال: «نَعَمْ» قال: بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ، بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ» رواه مسلم[١].

الشرح

ثم ذكر حديث رقية جبريل للنبي ﷺ أنه جاءه فقال له: «اشتكيت؟» يسأله يعني: هل أنت مريض؟ قال: نعم، فقال: «بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد،

---

(١) رواه مسلم في الطب، باب الطب والمرضى والرقى. . . ، رقم (٢١٨٦).

الله يشفيك، بسم الله أرقيك» هذا دعاء من جبريل أشرف الرسل للنبي ﷺ أشرف الرسل، لكن جبريل أشرف الرسل الملكيين، وأما محمد فأشرف الرسل البشريين يقول له: «اشتكيت؟» قال: «نعم» وفي هذا دليلٌ على أنه لا بأس أن يقول المريض للناس إني مريض إذا سألوه، وأن هذا ليس من باب الشكوى، الشكوى أن تشتكي الخالق للمخلوق، تقول: أنا أصابني الله بكذا وكذا، تشكو الرب للخلق، هذا لا يجوز، ولهذا قال يعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، لكن إذا أخبر المريض بمرضه على سبيل الإخبار دون الشكوى؛ فلا بأس، ولهذا بعض العامة يقول: إخبار لا شكوى، فيَّ كذا وكذا وهذا طيِّب، وفيه أيضًا دليل على أنه ينبغي أن يقرأ على المريض بهذه الرقية: «**بسم الله أرقيك**» يعني أقرأ عليك «**من كل شيء يؤذيك**»: عام، كل شيء يؤذيه من مرض، أو حزن، أو همّ، أو غمّ. أو أي شيء يكون.

«**من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك**».

«**من شر كل نفس**» من النفوس البشرية، أو نفوس الجن، أو غير ذلك، أو «**عين حاسد**» أي: ما يسمّيه الناس بالعين، وذلك أن الحاسد ـ والعياذ بالله ـ الذي يكره أن ينعم الله على عباده بنعمه، نفسُه خبيثة شريرة، وهذه النفس الخبيثة الشريرة قد ينطلق منها ما

يصيب المحسود، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق: ٥]، فيصيب المحسود فتزول منه النعمة بسبب هذه العين، ولهذا قال: «أو عين حاسد الله يشفيك» أي: يبرئه ويزيل سقمه «بسم الله أرقيك» فبدأ بالبسملة في أول الدعاء وفي آخر الدعاء، فإذا دعا الإنسان بما جاءت به السنة فهذا خير؛ لأن كل ما جاءت به السنة فإن مراعاته أفضل، وإذا لم يعرف هذا الدعاء فليدعُ بما يناسبه ويفتح الله به عليه: يقول مثلاً: شفاك الله، عافاك الله، أسال الله لك الشفاء، أسأل الله لك العافية، وما أشبه ذلك.

وفي هذا الحديث دليلٌ على أن النبي ﷺ كغيره من البشر، يصيبه المرض، وفيه أيضًا أن القراءة على المريض لا تنافي كمال التوكّل، بخلاف الذي يطلب من الناس أن يقرءوا عليه فالذي يطلب من الناس أن يقرءوا عليه؛ فيه شيء من نقص التوكل؛ لأنه سأل الخلق، واعتمد على سؤالهم، لكن إذا جاء إنسان يقرأ عليه ولم تمنعه؛ فإن ذلك لا يضرك ولا يعدُّ نقصًا في التوكل، ولهذا قرأ النبي ﷺ على غيره، وقرئَ عليه أيضًا فذلك لا ينافي كمال التوكل إذا كان بغير سؤال، والله الموفق.

* * *

٩٠٩/٩ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا، وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، قال: يقول: لا إلهَ إلاَّ أَنَا وَحْدِي لا شَرِيكَ لِي. وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، قالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا لِيَ الملْكُ وَلِيَ الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِي» وَكَانَ يَقُولُ: «مَنْ قالهَا في مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ» رواه الترمذي[1] وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

هذا آخر حديث نقله النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين في باب: «ما يُدعى به للمريض» وقد سبقت الأحاديث فيما يدعو به العائد للمريض.

أما هذا فهو فيما يدعو به المريض نفسه، إذا قال هذا الذي ذكره أبو هريرة وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يصدق العبد إذا قال: «الله أكبر، لا إله إلا الله» قال الله: «إنه لا إله إلا أنا، وأنا أكبر»، وإذا قال: «الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله كذلك يصدقه الله» فمن قال هذا ـ أي قال ـ: «لا إله

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول العبد إذا مرض. . .، رقم (٣٤٣٠).

إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله» ثم مات مع بقية الذكر فإنها لا تطعمه النار، أي: أن ذلك يكون من أسباب تحريم الإنسان على النار، فينبغي للإنسان أن يحفظ هذا الذكر، وأن يكثر منه في حال مرضه حتى يختم له بالخير إن شاء الله تعالى، والله الموفق.

❊ ❊ ❊

١٤٦ـ باب استحباب سؤال أهل المريض عن حاله

١/ ٩١٠ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ في وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللهِ بَارِئًا. رواه البخاري[١].

الشرح

بعد ما ذكر المؤلف النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين كثيرًا من آداب عيادة المريض ذكر بيان سؤال أهل المريض عن حاله، وأن ذلك من الأمور التي جاءت بها السنة، حيث ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه، وكان علي بن أبي طالب صهر رسول الله ﷺ وابن عمه، وكان أفضل أهل البيت، فهو الخليفة الرابع في هذه الأمة، ولما خلفه النبي ﷺ على أهله في غزوة تبوك، ورأى أنه تأثر من ذلك قال له النبي ﷺ: «أما

(١) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب المعانقة وقول الرجل: كيف أصبحت؟... رقم (٦٢٦٦).

ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»[١]؛ لأن موسى خلف هارون في أهله قال: ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، قال له النبي ﷺ ذلك، ثم قال: «إلا أنه لا نبي بعدي»[٢] خرج من عند الرسول ﷺ في مرضه الذي مات فيه، وكان النبي ﷺ عندما مرض كان يعدل بين نسائه التسع إلا سودة بنت زمعة رضي الله عنها، فإنها وهبت يومها لعائشة، فكان في مرضه يعدل بين نسائه، فلما اشتد به المرض صار يقول: «أين أنا غدًا، أين أنا غدًا؟»[٣] يريد يوم عائشة فأَذِنَّ له رضي الله عنهن أن يتمرَّض في بيت عائشة، فكان عند عائشة رضي الله عنها حتى توفي، فسئل علي رضي الله عنه: كيف أصبح النبي ﷺ؟ قال: أصبح بحمد الله بارئًا.

ففيه دليلٌ على أنه إذا لم يمكن الوصول إلى المريض فإنه يسأل عنه من ينتابه من أقاربه أو غيرهم، يسأل عن حاله ليطمئن الإنسان، وفي وقتنا هذا حصل ـ ولله الحمد ـ اتصال بغير الأهل، بغير

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب...، رقم (٣٧٠٦)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب...، رقم (٣٤٠٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك...، رقم (٤٤١٦)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب...، رقم (٢٤٠٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة...، رقم (٣٧٧٤)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عائشة...، رقم (٢٤٤٣).

الأقارب وهو اتصال الهاتف، فإن الإنسان إذا لم يتمكن من الذهاب إلى المريض بنفسه فهذا الهاتف والحمد لله خير مرسول للإنسان، ولهذا نقول: إذا لم تتمكن من عيادة المريض بنفسك؛ فإنك تتصل به بالهاتف وتسأل عن حاله ويكتب لك بذلك الأجر ـ، إن شاء الله تعالى ـ والله الموفق.

*　　*　　*

١٤٧- باب ما يقوله من أيس من حياته

١/٩١١ - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إليَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الأَعْلَىٰ» متفقٌ عليه[١].

٢/٩١٢ - وَعَنْهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِالْمَوْتِ، عِنْدَهُ قَدَحٌ فِيهِ مَاءٌ، وَهُوَ يُدخِلُ يَدَهُ فِي الْقَدَحِ، ثم يَمسَحُ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ أو سَكَرَاتِ المَوْتِ» رواه الترمذي[٢].

الشرح

قال المؤلف النووي - رحمه الله - في كتابه رياض الصالحين في باب ما يقوله من أيس من حياته.

اليأس من الحياة لا يعلم إلا إذ حضر الموت، أما قبل ذلك فإنه مهما اشتد المرض فإن الإنسان لا ييأس، وكم من إنسان اشتد به المرض حتى جمع أهله ماء تغسيله وحنوطه وكفنه ثم شفاه الله

---

(١) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت...، رقم (٥٦٧٤)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة...، رقم (٢٤٤٤).

(٢) رواه الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في التشديد عند الموت...، رقم (٩٧٨)، وقال أبوعيسى: هذا حديث غريب.

وعافاه، وكم من إنسان أشرف على الموت في أرض مفازة ليس عنده ماء ولا طعام فأنجاه اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ ومن ذلك ما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ حِينَ أَضَلَّهَا» ـ يعني ضيعها ـ «وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ وَطَلَبَهَا وَلَمْ يَجِدْهَا، فَاضْطَجَعَ تَحْتَ شَجَرَةٍ يَنْتَظِرُ الْمَوْتُ»(١): أيس منها، وما بقي عليه إلا أن يموت «فبينما هو كذلك إذا بخطام ناقته متعلقًا بالشجرة» رد الله عليه ضالته حتى جاءت هذه الشجرة ترعاها فارتبط خطامها بها يعني: مقودها بهذه الشجرة، فأخذ الرجل بخطامها. وقال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ» يريد أن يقول: «أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ» لكنه من شدة الفرح أخطأ، فهذا الرجل أيس من حياته باعتبار ظاهر الحال؛ لأنه فقد طعامه وشرابه إذ كانت على الراحلة، لكن اليأس الحقيقي هو ما إذا حضر الإنسان الموت وصار في النزع فحينئذٍ لا يمكن أن يحيىٰ، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٣، ٨٤]، بلغت يعني: الروح، الحلقوم يعني: الحلق، ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٤، ٨٥]، الملائكة أقرب إلى الإنسان من حلقومه عند احتضاره ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ

---

(١) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها...، رقم (٢٧٤٤).

﴿غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٦، ٨٧]، لا يمكن؟! هل أحد يمكن أن يرد روحه بعد أن بلغت الحلقوم؟! أبدًا لا يمكن؛ إذًا ييأس الإنسان من حياته إذا عاين الموت فماذا يقول؟ تقول عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم اغفر لي، وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى**» هكذا يقول الرسول ﷺ عند موته وهو الذي قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر!

يقول: «**اللهم اغفر لي، وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى**».

من هم الرفيق الأعلى؟ هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وحسن أولئك رفيقًا، هكذا كان الرسول يقول عند موته، وكان عنده ﷺ إناء فيه ماء، وقد أوتي من شدة الموت وسكراته ما لم يؤت أحد يعني ذلك أن أشد الناس عند سكرات الموت هو النبي ﷺ؛ لأنه ﷺ يمرض مرض رجلين، شدد عليه المرض، شدد عليه النزع، لماذا؟ من أجل أن ينال أعلى درجات الصبر؛ لأن الصبر يحتاج إلى شيء يصبر عليه الإنسان، فكأن الله عزَّ وجلَّ قد اختار لنبيه ﷺ أن يكون مرضه شديدًا، ونزعه شديدًا حتى ينال أعلى درجات الصابرين صلوات الله وسلامه عليه. فكان ﷺ يضع يده في الإناء الذي فيه الماء، ويمسح بذلك وجهه ويقول:

«**اللهم أعني على غمرات الموت، أو قال: على سكرات الموت**» أعني عليها حتى أتحمل وأصبر وأتروَّي، ولا يزيغ عقلي، حتى أعي ما أقول، وحتى يختم لي بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ لأن المقام مقام عظيم، مقام هول وشدة إذا لم يعنك الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ويصبرك ويثبتك فأنت على خطر، ولهذا كان يقول: «**اللهم أعني على غمرات الموت**» وفي رواية أخرى يقول: «**لا إله إلا الله، إن للموت سكرات**»[1] وصدق النبي ﷺ إذ يقول تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]، نسأل الله تعالى أن يعيننا وإياكم على غمرات الموت، وأن يحسن لنا ولكم الخاتمة ويتوفانا على الإيمان والتوحيد، وأن يتوفانا وهو راضٍ عنا إنه على كل شيء قدير.

* * *

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ...، رقم (٤٤٤٩).

١٤٨ـ باب استحباب وصية أهل المريض ومن يخدمه بالإحسان إليه واحتماله والصبر على ما يشق من أمره وكذا الوصية بمن قرب سبب موته بحدٍّ أو قصاص ونحوهما

١ /٩١٣ ـ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَينِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَهِيَ حُبْلى مِنَ الزِّنَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلِيَّهَا، فَقَالَ: «أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي بِهَا» فَفَعَلَ، فَأَمرَ بِهَا النبيُّ ﷺ فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فرُجِمَتْ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا. رواه مسلم[١].

الشرح

قال المؤلف النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين: باب استحباب وصية أهل المريض بالإحسان إليه والصبر وتحمله وغير ذلك، يعني: أنه ينبغي للإنسان أن يحسن إلى المريض ويتحمله ويصبر على ما يجد منه من كلام نابٍ؛ لأن المريض نفسه ضيقة، والدنيا عليه قد ضاقت، فربما يحدث منه كلام أو يحدث منه تضجر أو ما أشبه ذلك، فليصبر الإنسان على هذا وليحتسب الأجر من الله ـ سبحانه وتعالى ـ فإنه يُثاب على

(١) رواه مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى. . .، رقم (١٦٩٦).

إحسانه لهذا المريض، ويُثاب على تحمله المشقة منه والأذى، ولا سيما إذا كان هذا الذي يتولاه الإنسان قد وجد سبب موته أو سبب قتله كما ذكر حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ وهي حبلى من الزنا ـ يعني حامل من الزنا ـ فقالت: يا رسول الله إني أصبت حدًّا فأقمه عليَّ. تريد من الرسول ﷺ أن يقيم عليها الحد وحدها أن تُرجم؛ لأنها محصنة. فدعا النبي ﷺ وليها وقال له: «**أحسن إليها فإذا وضعت فأتني بها**» فجيء بها إلى رسول الله ﷺ بعد أن وضعت الحمل، ثم أمرها أن تنتظر حتى تفطم الصبي، فلما فطمته جاءت فأقام عليها الحد وأمر أن تشد عليها ثيابها يعني: تحزم وتربط؛ لئلا تضطرب عند رجمها فتبدو سوءتها ـ أي عورتها ـ فشُدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت وصلَّى عليها ﷺ.

ففي هذا دليلٌ على أنه يوصى أهل الميت ومن يتولاَّه بالإحسان إليه والرفق به وغير ذلك مما يناسب حاله، كما فعل النبي ﷺ، وفي هذا الحديث دليلٌ على أنه لا يشترط في الإقرار بالزنا أن يتكرر أربع مرات، وأن الزاني إذا أقرَّ ولو مرة واحدة وهو عاقل لا اشتباه في حاله؛ فإنه يؤخذ بإقراره ويقام عليه الحد، وفيه أيضًا دليلٌ على أنه يشترط في إقامة الحد ألا يتعدَّ الضرر إلى غير المحدود؛ لأنها لو

رجمت لمات الذي في بطنها، وهو ليس منه جناية، ولهذا أمر النبي ﷺ أن تنتظر حتى تضع المولود وحتى وتفطمه، وفي هذا دليلٌ على أن المرأة لا يحفر لها في الرجم، ولكن تربط عليها الثياب ثم ترجم عليها بالحجارة يعني ترمى بالحجارة، حجارة لا صغيرة ولا كبيرة، حتى تموت، وإنما كان الحد هكذا؛ لأن الشهوة المحرمة شملت جميع البدن، فناسب أن يذوق جميع البدن ألم العقوبة، وهذا من حكمة الله عزَّ وجلَّ.

وفي هذا دليلٌ على أن الحدود إذا أقيمت فإن صاحبها يبرأ منها ويخلص منها ويطهر منها، ولهذا أمر النبي ﷺ بها فصلَّى عليها وصلَّى الناس عليها، والله الموفق.

* * *

١٤٩ـ باب جواز قول المريض: أنا وجع، أو شديد الوجع أو موعوك أو «وارأساه» ونحو ذلك، وبيان أنه لا كراهة في ذلك إذا لم يكن على سبيل التسخط وإظهار الجزع

١/ ٩١٤ ـ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَمَسَسْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَقَالَ: «أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ» متفقٌ عليه[1].

٢/ ٩٥١ ـ وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وقّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بي، فَقُلْتُ: بَلَغَ بي مَا تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلاَ يَرِثُنِي إِلاَّ ابْنَتِي، وذكر الحديث. متفقٌ عليه[2].

٣/ ٩١٦ ـ وَعَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: وَارَأْسَاهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهُ» وذكر الحديث. رواه البخاري[3].

---

(١) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب شدة المرض...، رقم (٥٦٤٧)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن...، رقم (٢٥٧١).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة...، رقم (١٢٩٥)، ومسلم، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث...، رقم (١٦٢٨).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف...، رقم (٧٢١٧).

الشرح

قال الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين فيما يتعلق بالمريض أنه يجوز أن يخبر عمَّا فيه من المرض وشدته، بشرط أن يكون ذلك إخبارًا لا شكوى، أي: أنه يقصد بهذا الإخبار لا يقصد الشكوى وإظهار التسخط من قضاء الله وقدره، ثم استدل بحديث ابن مسعود رضي الله عنه، وحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وحديث عائشة رضي الله عنها على أنه لا بأس أن يخبر الرجل المريض بأنه مريض أو شديد الوجع أو ما أشبه ذلك.

فحديث ابن عباس يذكر أنه دخل على النبي ﷺ وهو يوعك ـ أي: فيه حرارة وشدة ـ، فمسّ يده فقال له: إنك لتوعك يا رسول الله، قال: «**أجل إني لأوعك كما يوعك الرجلان منكم**» يعني: يشدد عليه ﷺ في المرض، وذلك من أجل أن ينال أعلى درجات الصبر ﷺ فإن أنواع الصبر ثابتة في حقه على الوجه الأعلى، فقد صبر على أمر الله، وصبر عن معاصي الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة ﷺ: صبر على أمر الله حين بلغ رسالة ربه مع شدة الإيذاء له حتى كان يؤذى في وسط المسجد الحرام تحت بيت الله الكعبة ـ وهو صابر محتسب ـ حتى إنه خرج إلى أهل الطائف ودعاهم إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ولكنهم استهزءوا به وسخروا منه، وجعلوا يرمونه بالحجارة

حتى أدموا عقبه فلم يفق إلا وهو في قرن الثعالب، ثم جاءه ملك الجبال يستأذنه أن يطبق عليهم الأخشبين فقال ﷺ: **«لا، إني أستأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئًا»**(١) فهذا صبر على أمر الله.

وصبر ﷺ عن معصية الله، فكان أخشى الناس لله وأتقاهم له وصبر على أقدار الله، فلكم أوذي في الجهاد في سبيل الله وفي غير ذلك، وكم حصل له من أمراض وهو صابر محتسب، لينال بذلك درجة الصابرين، فلنا فيه أسوة، فالإنسان يجب عليه أن يصبر على أقدار الله المؤلمة، كما صبر الرسول ﷺ، يصبر ويحتسب ويعلم أنه ما من شيء يصيبه إلا كفَّر الله به عنه خطيئته، حتى الشوكة يشاكها(٢)، ثم إذا احتسب الأجر عند الله ونوى بذلك أن يكون هذا الصبر لنيل رفعة درجات له حصل له هذا، فينال بالمصائب ينال مرتبتين عظيمتين:

الأولى: مرتبة الصابرين على قضاء الله وقدره.

---

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة...، رقم (٣٢٣١)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين...، رقم (١٧٩٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض...، رقم (٥٦٤٠)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن...، رقم (٢٥٧٢).

والثانية: أنه ينال من رفعة الدرجات مع الاحتساب ما يناله من الثواب.

وأما حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقد مرض في مكة ـ وكان من المهاجرين ـ وكانوا يكرهون أن يموت الإنسان في البلد الذي هاجر منه؛ لأنه ترك البلد لله فيكره أن يموت فيها، وكان من عادة النبي ﷺ وحسن رعايته وخلقه أنه يعود المرضى من أصحابه، فعاده، فقال له سعد رضي الله عنه: يا رسول الله إني ذو وجع ـ يعني وجع شديد ـ وإني ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي ـ أي لا يرثه من الذرية إلا بنت، وإلا فله عصبة ـ أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «**لا**» قال: بالنصف؟ قال: «**لا**» قال: «**بالثلث؟ قال: الثلث، والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**»[1] والعجب من الناس اليوم ـ وقبل اليوم ـ أنهم يوصون بالثلث مع أن النبي ﷺ قال: «**الثلث كثير**»، وهذا يدل على أنه يحب أن يوصى الإنسان بالثلث ولكن أخذ الناس هذا عادة وصار الإنسان إذا أوصى يوصي بالثلث.

ولهذا قال حبر هذه الأمة الذي دعا له النبي ﷺ أن يفقهه الله في

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة...، رقم (١٢٩٥)، ومسلم، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث...، رقم (١٦٢٨).

الدين ويعلمه التأويل قال: لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع: يعني لكان أحسن؛ لأن النبي ﷺ قال: «**الثلث، والثلث كثير**» والناس الآن يقولون: اكتب ثلثًا اجعل لي ثلثًا، وما أشبه ذلك، وهذا ليس محبوبًا للنبي ﷺ، غض من الثلث إلى الربع، وغض من الربع إلى الخمس وهو أفضل؛ لأن أبا بكر رضي الله عنه أفقه هذه الأمة، والخليفة الأول لهذه الأمة بعد نبيها أوصى بالخمس وقال: «رضيت بما رضي الله به»[1]؛ لأن الله قال: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١]، ومع هذا نجد الذين يوصون بالثلث لا يوصون على الوجه المشروع؛ بل يوصون بأشياء مفضولة وغيرها أفضل منها، يوصي وأحيانًا يحيف في الوصية حيث يوصى للأولاد ويدع البنات، أو يوصي بأشياء توجب النزاع بين الموصى لهم في المستقبل، ولو أن الناس إذا أرادوا أن يوصوا أوصوا بما هو نفع عام: كبناء المساجد، وبناء المدارس، وشراء الكتب النافعة، وما أشبه ذلك مما ينفذ في حينه ويجري أجره ويسلم الورثة أو الموصى لهم من التنازع، لكان خيرًا من كونه

---

(١) «المغني»: كتاب الوصايا (٦/ ٥٧).

يوصي بضحية وعشاء على ذريته وأولاده وقد يحرم البنات، وما أشبه ذلك من الأشياء التي يظهر أنها اتخذت من العادات. والعامة ـ للأسف ـ إذا جاء أحدهم يوصي بشيء فإنه يحضر شخصًا ويقول له: اكتب وصيتي بالثلث... ويذكر ما اعتاده الناس، دون نظر وتفكير في الفوائد المترتبة والضوابط الشرعية التي تحكمها وصيته التي يمليها.

والذي يجب على أهل العلم الذين يكتبون الوصايا أن يفقهوا أولاً في دين الله وأن يحملوا الناس على ما هو أفضل وأولى؛ لأن العامي إذا جاء يطلب منك أن تكتب ويقول لك: اكتب وصيتي مثلاً قد ائتمنك فكونه يكون كاتب أمة ـ يعني: لا يهمه إلا ما يرضي الناس فقط ولو كان مفضولاً ـ فهذا خطأ، احملوا الناس على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم حتى وإن كان على خلاف عاداتهم، فهذا العامي المسكين ما أراد إلا الخير فهم يأتونك يقولون: اكتب ثلثي... وبأضحية كذا... لماذا؟! هناك ما هو أفضل من ذلك بكثير، فاحمِل الناس على أن تكتب لهم ما هو أوْلىٰ وأنفع لهم في قبورهم وبعد بعثهم.

أما الحديث الثالث: فهو عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله وارأساه، تشكو من رأسها فقال النبي ﷺ: «**بل أنا**

وارأساه» فهذا اجتمع فيه سنتان: إقرارية وقولية، أما الإقرارية فإن الرسول ﷺ أقرَّ عائشة لما قالت: «**وارأساه**» تتوجع من رأسها، وأما القولية فهو نفسه قال: «**وارأساه**» وعليه فإذا قال الإنسان: وارأساه واظهراه، واكفّاه، واقدماه، وابطناه، أو ما أشبه ذلك؛ فلا حرج بشرط ألا يقصد بهذا أن يشكو الخالق إلى المخلوق، أو يُقصد التوجع والتضجر مما قضاه الله عليه، فإذا كان مجرد خبر؛ فهذا لا بأس به ولا سيما إذا كان يذكر هذا عند من يريد أن يعالجه، فيقول له الطبيب مثلاً: ما الذي تشكي؟ يقول: أشكو رأسي، أشكو بطني، أشكو صدري، أشكو ظهري، وما أشبه ذلك فهذا لا بأس به؛ لأنه خبر مجرد ليس المراد به التسخط ولا الاعتراض على قضاء الله وقدره، نسأل الله لنا ولكم الشفاء من كل داء، وأن يجعل هذا قوة لنا على طاعته إنه على كل شيء قدير.

* * *

١٥٠ـ باب تلقين المحتضر لا إله إلا الله

١/٩١٧ ـ عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلامِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ». رواه أبوداود والحاكم وقال: صحيح الإسناد[1].

٢/٩١٨ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ» رواه مسلم[2].

الشرح

قال المؤلف النووي ـ رحمه الله ـ في كتاب رياض الصالحين: باب تلقين المحتضر لا إله إلا الله.

المحتضر: هو الذي حضرت الملائكة لقبض روحه، والله ـ سبحانه وتعالى ـ قد وكَّل بالإنسان ملائكة يحفظونه في حال حياته وبعد مماته، قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، والإنسان إذا حضر أجله نزل إليه ملائكة يقبضون روحه من يد ملك الموت،

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٣٣)، وأبوداود، كتاب الجنائز، باب التلقين. . .، رقم (٣١١٦)، والحاكم في «المستدرك»، كتاب الجنائز (١/ ٥٠٣).

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى لا إله إلا الله. . .، رقم (٩١٦).

فإن ملك الموت يتولى قبضها من البدن، والملائكة معهم كفن من الجنة وحنوط من الجنة إذا كان من المؤمنين ـ جعلني الله وإياكم منهم ـ وأما إذا كان من الكافرين فملائكة العذاب معهم كفن من النار وحنوط من النار ـ نعوذ بالله من ذلك ـ فإذا احتضر الإنسان وعلمنا أنه في النزع وأنه ميت، فإننا نلقنه «لا إله إلا الله» كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري، قال: قال النبي ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله».

قال العلماء: فيلقنه برفق، لا يأمره، لا يقل: قل: لا إله إلا الله؛ لأنه ربما إذا قال له قل: لا إله إلا الله ـ وهو في تلك الحال ـ قد ضاق صدره وقد ضاقت عليه الدنيا ربما إذا قيل له: قل لا إله إلا الله فيقول: لا؛ لأنك لا تتصور ضيق الصدر في هذه الساعة إلا إذا كنت في هذه الحالة، نسأل الله أن يشرح صدورنا وإياكم عند لقائه، فتذكر الله عنده تقول: لا إله إلا الله ترفع صوتك بهذا حتى يسمع فربما يمنُّ الله عليه ويستحضر أنك تلقنه فيقول لا إله إلا الله، فإذا قال لا إله إلا الله، وكانت آخر كلامه من الدنيا دخل الجنة كما في حديث معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ أنه قال: «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة».

قال أهل العلم: فإذا قال لا إله إلا الله فليسكت ولا يلقنه ولا

يقل شيئًا، فإن عاد هو نفسه وتحدث بشيء مثل قال: اسقوني، أعطوني ماءً أو تكلم بشيء آخر، فليعد التلقين، فليقل لا إله إلا الله حتى يسمع لعله يكون آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله، ولكن إذا كان الإنسان ـ والعياذ بالله ـ كافرًا مرتدًّا فهذا ربما نقول له بالأمر: قل لا إله إلا الله نأمره؛ لأنه كافر، فإن مَنَّ الله عليه وقال: لا إله إلا الله فهذا المطلوب، وإن لم يقل فهو كافر، لذلك لما حضرت أبا طالب الوفاةُ وهو عمُّ النبي ﷺ وأعمام النبي الذين أدركوا الرسالة أربعة: اثنان أسلما وهما: حمزة والعباس أحدهما أفضل من الآخر، حمزة أفضل من العباس. واثنان ماتا على الكفر، أحدهما أقبح كفرًا من الآخر. أبو طالب ـ والد علي بن أبي طالب ـ وأبو لهب ـ والعياذ بالله ـ من أشد الناس إيذاء للرسول ﷺ، ولهذا أنزل الله في ذمه سورة كاملة يقرؤها الناس في الصلوات في الفرائض والنوافل ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ [المسد]. ولكنَّ أبا طالب ـ رغم كفره ـ لكن كان به حدب على الرسول ﷺ وحنان وشفقة ومدافعة وثناء على الرسول ﷺ إلا أنه ـ والعياذ بالله ـ حيل بينه وبين الإسلام، فعندما حضرته الوفاة ـ وكان النبي ﷺ عنده ـ وعنده رجلان من قريش،

فقال له الرسول ﷺ: «**يا عم قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله**»[١] ولكن كان هذان الرجلان جليسي سوء.

قالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب. وكأنهما ـ والله أعلم ـ رأياه هَمَّ أن يقول: لا إله إلا الله، فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلما قالا هذه الكلمة أخذته العزة بالإثم فقال: هو على ملة عبد المطلب، وكان آخر كلمة منه كلمة الشرك، والعياذ بالله ـ ثم مات، يقول الرسول ﷺ: «**إنه شفع له عند الله فخفف عنه العذاب، فكان في ضحضاح من النار قد غاص به، وعليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه**»، والعياذ بالله، ودماغه أبعد شيء عن قدميه، فإذا كان يغلي كالقِدر فيه الماء تحته النار، فما بالك بما هو أدنى من رأسه إلى قدميه؟! يكون أشد. قال النبي ﷺ: «**ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»[٢] والشاهد من هذا أن النبي ﷺ قال له: «**يا عم قل: لا إله إلا الله**» ولم يذكر الله عنده فقط، بل قال يا عم قل: لا إله إلا الله. فهذا من أفضل ما يكون ومن أجلِّ ما يكون هدية للمرء

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله...، رقم (١٣٦٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت...، رقم (٢٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، قصة أبي طالب...، رقم (٣٨٨٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب...، رقم (٢٠٩).

إذا لقن الإنسان أخاه عند الموت قول: لا إله إلا الله، تساوي الدنيا كلها، فإذا حضرتَ إلى أحد ـ وقد حضر أجله ـ فاحرص على أن تلقنه: لا إله إلا الله؛ امتثالاً لأمر النبي ﷺ وإحسانًا لهذا الشخص، وربما يلقنك الله ـ سبحانه وتعالى ـ لا إله إلا الله عند موتك؛ لأن النبي ﷺ قال: «**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»[١] ختم الله لنا ولكم بالشهادة.

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر...، رقم (٢٦٩٩).

١٥١ ـ باب ما يقوله عند تغميض الميت

١/٩١٩ ـ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَة وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضهُ ثُمَّ قال: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ؛ تَبِعَه الْبَصَرُ» فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهَ، فقال: «لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إلا بِخَيْرٍ فَإِنَّ المَلائِكَةُ يُؤَمِّنُونَ عَلى مَا تَقُولونَ» ثُمَّ قالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ، وارْفَعْ دَرَجَتَهُ في المَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ» رواه مسلم[١].

الشرح

قال الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين: باب ما يُقال عند تغميض الميت. يعني أن الإنسان إذا حضر الميت، فإن الميت في الغالب يشخص بصره ـ ينفتح باتساع يشاهد الروح إذا خرجت من البدن؛ لأن الروح إذا خرجت من البدن لها جسم، لكنه جسم لا يراه الناس، يراه الميت فقط، والملائكة كذلك تراه وتأخذها.

دخل النبي ﷺ على أبي سلمة، وكان من عادة النبي ﷺ أنه

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر...، رقم (٩٢٠).

يعود المرضى، فدخل على أبي سلمة وقد شق بصره - يعني اتسع وانفتح، فعرف النبي ﷺ أنه مات، فقال: «**إن الروح إذا قبض تبعه البصر**» فضج ناس من أهله - يعني من أهل البيت عندما سمعوا النبي ﷺ يقول هذا الكلام - فعرفوا أن الرجل قد مات فضجوا كعادة الناس إذا حصل مثل هذا الأمر ضجوا بالبكاء، فقال النبي ﷺ: «**لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون**» وكانوا في الجاهلية إذا حصل مثل هذا يدعون على أنفسهم بالويل والثبور - والعياذ بالله - يقول: يا ويلاه، يا ثبوراه، واانقطاع ظهراه، وما أشبه ذلك.

فقال: «**لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون**» ففي هذه الحال ينبغي للإنسان أن يدعو لنفسه بالخير ويقول ما أرشد إليه النبي ﷺ: «**اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرًا منها**»(١) بعد قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ لأن كلَّ مصيبة تقول فيها: إنا لله وإنا إليه راجعون، وفي مصيبة الموت: «**اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرًا منها**»، وكذلك غيرها، وقد حدث النبي ﷺ بهذا الحديث فسمعته أم سلمة زوج أبي سلمة فلما مات زوجها - وكان من أحب الناس إليها - دعت بهذا الدعاء،

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يُقال عند المصيبة...، رقم (٩١٨).

وقالت في نفسها: «مَنْ خيرٌ من أبي سلمة؟» تفكر من هذا الذي سيكون خيرًا من أبي سلمة؛ لأنها مؤمنة بهذا الكلام فلما انقضت عدتها خطبها النبي ﷺ فكان خيرًا من أبي سلمة ولا شك، الحاصل أن الرسول ﷺ أغمض عينيه ـ عيني أبي سلمة ـ؛ لأنها كانت منفتحة ثم قال: «اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، ونور له في قبره، وافسح له فيه، واخلفه في عقبه» خمس كلمات تساوي الدنيا كلها:

«اللهم اغفر لأبي سلمة» يعني: اغفر له ذنوبه فلا تعاقبه عليها وسامحه واعف عنه.

و«ارفع درجته في المهديين» في الجنة؛ لأن أصحاب الجنة مهديون، كلهم قد هدوا.

و«افسح له في قبره» يعني وسع له في قبره، فإن القبر بالنسبة لمنازل الدنيا ضيق بحسب الحس، لكنه يفسح للمؤمن حتى يكون مد البصر، ويكون روضة من رياض الجنة.

«ونور له فيه» والقبر مظلم بحسب الحس، مظلم ليس فيه نور، لا نور النهار، ولا نور السراج، ولا غيره.

«واخلفه في عقبه» يعني: كن خليفة له في عقبه ـ في ذريته ـ، فهذه الدعوات الخمس منها شيء علمناه ومنها شيء رجوناه: الذي

علمناه أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلفه في عقبه؛ لأن زوجته تزوجها النبي ﷺ، وأولاده صاروا ربائب للنبي ﷺ تربوا في بيته، وأما الأربعة الباقية فإننا نرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون الله قد قبل دعوة نبيه في هذا الرجل الصالح.

وفي هذا الحديث دليلٌ على مسائل:

أولاً: أنه ينبغي للإنسان إذا أصيب بمصيبة ألا يدعو لنفسه إلا بالخير.

ثانيًا: أنه ينبغي لمن حضر الميت إذا خرجت روح الميت وانفتح بصره أن يغمضه ما دام حارًّا؛ لأنه إذا برد وعيناه شاخصتان بقيتا شاخصتين لا تنطبق، فيطبقهما ما دام حارًّا، قال العلماء: وينبغي أيضًا أن يلين مفاصله قبل أن تبرد وتشخص، وتليين المفاصل أن يرد ذراعه إلى عضده، وعضده إلى صدره ثم يمد يده، ويرد الساق إلى الفخذ، والفخذ إلى البطن ثم يمدها عدة مرات حتى تلين، ليسهل تغسيله وتكفينه.

ومن فوائد هذا الحديث: الدلالة على أن الروح شيء يرى فهو جسم، ولكنه ليس كأجسامنا هذه، فأجسامنا هذه أجسام غليظة، لكن الروح جسم ليس بالجسم الغليظ؛ بل هو جسم لطيف، يجري من ابن آدم مجرى الدم، وليس مخلوقًا من طين ولكنه مخلوق من

مادة الله أعلم بها، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥].

ومنها: أنه ينبغي لمن حضر الميت وأغمضه أن يدعو له، وإذا دعا بهذه الدعوات العظيمة التي دعا بها الرسول ﷺ لأبي سلمة كان خيرًا، وإن لم يعرفها؛ دعا بما تيسر.

ومنها: أن الملائكة يؤمِّنون على دعاء أهل الميت في هذه الحالة، فينبغي لأهل الميت أن يدعوا بالخير، والله الموفق.

* * *

١٥٢- باب ما يُقال عند الميت
وما يقوله من مات له ميت

١/ ٩٢٠ ـ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ، أَوْ الْمَيِّتَ، فَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ»، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ، قَالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ، وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَىٰ حَسَنَةً» فَقُلْتُ؛ فَأَعْقَبَنِي اللهُ مَنْ خَيْرٌ لِي مِنْهُ: مُحَمَّدًا ﷺ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1] هَكَذَا: «إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ» أَوِ «الْمَيِّتَ» عَلَى الشَّكِّ، وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[2] وَغَيْرُهُ: «الْمَيِّتَ» بِلاَ شَكٍّ.

٢/ ٩٢١ ـ وَعَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَاخْلُف لِي خَيْرًا مِنْهَا؛ إِلاَّ أَجَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي مُصِيبَتِهِ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يُقال عند المريض والميت، رقم (٩١٩).
(٢) رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٢٩١، ٣٠٦)، وأبوداود، كتاب الجنائز، باب ما يُستحب أن يُقال عند الميت من الكلام...، رقم (٣١١٥)، والترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في تلقين المريض عند الموت والدعاء له...، رقم (٩٧٧)، والنسائي، كتاب الجنائز، باب كثرة ذكر الموت...، رقم (١٨٢٥)، وابن ماجه، كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء فيما يُقال عند المريض إذا حضر...، رقم (١٤٤٧).

وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا. قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ فَأَخْلَفَ اللهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ، رَسُولَ اللهِ ﷺ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(١)].

٩٢٢/٣ - وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُم وَلَدَ عَبْدِي؟ فيقولونَ: نَعَمْ، فيقولُ: فَمَاذَا قال عَبْدِي؟ فيقولُونَ: حَمِدكَ واسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ تعالى: ابنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّة، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ» رواه الترمذي[(٢)] وقال: حديثٌ حسنٌ.

٩٢٣/٤ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الْجَنَّةَ» رواه البخاري[(٣)].

٩٢٤/٥ - وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَرْسَلَتْ إِحْدَى بَنَاتِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ تَدْعُوهُ وتُخْبِرُهُ أَنَّ صَبيًّ لَهَا - أو ابْنًا - في المَوْتِ فَقَالَ لِلرَّسُولِ: «ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَأَخْبِرْهَا أَنَّ للهِ تَعَالى مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجلٍ مُسَمًّى، فَمُرْهَا، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ» وذكر تمام

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يُقال عند المصيبة. . .، رقم (٩١٨).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٦٩)، (٤/ ٤١٥)، والترمذي، كتاب الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسب. . .، رقم (١٠٢١).

(٣) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب العمل الذي يُبتغى به وجه الله. . .، رقم (٦٤٢٤).

الحديث. متفق عليه[١].

الشرح

هذه الأحاديث ذكرها النووي ـ رحمه الله ـ في رياض الصالحين فيما يُقال عند الموت يعني: إذا مات للإنسان أحد فماذا يقول؟ وقد سبقت لنا الإشارة إلى حديثين صدَّر بهما هذا الباب وهما لأم سلمة رضي الله عنها حين مات زوجها فقالت: «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أْجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها» فأخلف الله عليها محمدًا ﷺ.

أما الأحاديث الثلاثة الباقية فهي فيمن مات له ولد، فحمد الله واسترجع وصبر؛ فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يعوضه بذلك الجنة، كما في الحديث: «أن الله تعالى إذا قبضت الملائكة نفس ولده؛ فإن الله يقول للملائكة: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم»، وهو يعلم عزَّ وجلَّ أنهم قبضوا ولد عبده، لكن يقول جلَّ وعلا هذا ليظهر فضل هذا العبد، وأنه حمد الله واسترجع عند هذه المصيبة العظيمة، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال؟ قالوا: حمدك واسترجع يعني: قال: الحمد لله، إنا لله وإنا إليه

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله»...، رقم (١٢٨٤)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت...، رقم (٩٢٣).

راجعون» والحمد عند المصائب مما يدل على صبر الإنسان على قضاء الله وقدره، وأنه صبر؛ فأثنى على الله بهذه المصيبة، وكان النبي ﷺ إذا أصابه ما يكره قال: «**الحمد لله على كل حال**»[١] وإذا أصابه ما يسره قال: «**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات**»[٢] فإذا حصل لك ما يسرك فقل: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا حصل العكس فقل: الحمد لله على كل حال.

وكذلك أخبر ـ سبحانه وتعالى ـ فيما رواه عنه النبي ﷺ أنه «**ما من إنسان يقبض الله له ولده فيصبر ويحتسب إلا عوّضه الله به الجنة**» وكذلك أيضًا ما أخرجه البخاري أن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: ما جزاء لعبدي المؤمن إذا قبضت له صفيه واحتسب إلا الجنة**» صفيه: يعني ما اصطفاه واختاره من ولد أو زوجة أو غيرهما إذا قبض الله ذلك الصفيّ ثم احتسب فإن له بذلك الجنة.

أما الحديث الأخير فهو في قصة إحدى بنات النبي ﷺ وكان لها ابن في سياق الموت، فأرسلت إلى النبي ﷺ تدعوه. فقال النبي ﷺ للرسول الذي أرسلته هذه المرأة: «**قل لها: إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب**»

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الحامدين. . .، رقم (٣٨٠٣).
(٢) انظر الحديث السابق.

فأمرها أن تصبر وتحتسب الأجر من الله عز وجل، فينبغي للإنسان في تعزية أخيه أن يقول له هذه الكلمات؛ لأنها أحسن ما يُعزى به **«إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، اصبر واحتسب»**، والله الموفق.

* * *

١٥٣ـ باب جواز البكاء على الميت بغير ندب ولا نياحة

١/ ٩٢٥ ـ عَنْ اِبْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَادَ سَعْدَ بنَ عُبَادَةَ وَمَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ الله بنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنهم، فَبَكَى رسولُ الله ﷺ، فلمَّا رَأى القَوْمُ بُكَاءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَكَوْا فَقَالَ: «أَلاَ تَسْمَعُونَ؟ إنَّ الله لا يُعَذِّبُ بِدِمْعِ الْعَيْنِ، وَلاَ بِحُزنِ القَلْبِ، ولكِنْ يُعَذِّبُ بِهذَا أَوْ يَرْحَمُ» وَأَشَارَ إلى لِسَانِهِ. متفقٌ عليه[١].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين: باب جواز البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة.

البكاء على الميت تارة يكون بمقتضى الطبيعة، بمعنى أن يأتي للإنسان دون أن يتقصده، فهذا لا حرج فيه، ولا إثم فيه؛ بل هو من أخلاق النبي ﷺ كما في الحديث الذي ذكره المؤلف، وهو دليلٌ على رحمة الإنسان ورقة قلبه أن يبكى على الميت، وتارة يكون

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض...، رقم (١٣٠٤)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت...، رقم (٩٢٤).

بتكلف ومعه ندب أو نياحة؛ فهذا هو الذي يأثم به الإنسان، فالندب هو أن يقوم بتعداد محاسن الميت إذا بكى، يبكي ويقول: هذا فلان الذي يأتي لنا بكذا، وكذا، ويدافع عنا، وما أشبه ذلك، أو يقول واأبتاه وما أشبه ذلك مما يعد ندبًا، أو واانقطاع ظهراه.

وأما النياحة فهي البكاء برنة كنوح الحمام، فهذا هو المحرم، وقد لعن النبي ﷺ النائحة والمستمعة.

أما البكاء الذي يأتي طبيعيًا بدون أن يتقصده الإنسان ولكنه حزن ورحمة؛ فإنه لا بأس به، كما في الحديث الذي ذكره المؤلف ـ رحمه الله ـ أن النبي ﷺ عاد سعد بن عبادة رضي الله عنه من مرض ألـمَّ به فبكى عليه الصلاة والسلام فبكى من معه: سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ثم قال: «**ألا تسمعون**» يعني: اسمعوا: «**إن الله تعالى لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب**» لا يعذب الباكي والحزين ولا يعذب الميت و«**إنما يعذب بهذا أو يرحم**» وأشار إلى لسانه يعني: أن يقول الإنسان قولاً محرمًا هذا هو الذي يعذب به الإنسان، فدلَّ ذلك على جواز البكاء على الميت بشرط ألا يكون فيه ندب وألا يكون فيه نياحة وإنما تأتي به الطبيعة والجبلة فهذا لا بأس به وهو من خلق النبي ﷺ، والله أعلم.

* * *

٢/٩٢٦ ـ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رُفِعَ إِلَيْهِ ابْنُ ابْنَتِهِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَفَاضَتْ عَيْنا رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ تَعَالى فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ» متفقٌ عليه[1].

٣/٩٢٧ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسُولَ الله ﷺ دَخَلَ عَلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ يَجُودُ بنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنا رَسُولِ اللهِ ﷺ تَذْرِفَانِ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عوْفٍ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟! فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فقال: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالقَلْبَ يَحزَنُ، وَلاَ نَقولُ إلاَّ مَا يُرْضِي ربَّنَا، وَإِنَّا لفراقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لمَحزُونُونَ». رواه البخاري ومسلم[2]، وروى بعضه والأحاديث في الباب كثيرة في الصحيح مشهورة والله أعلم.

الشرح

سبق لنا الكلام على الأحاديث الثلاثة الماضية التي ذكرها النووي ـ رحمه الله ـ في رياض الصالحين في باب جواز البكاء على

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾... رقم (٦٦٥٥)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت...، رقم (٩٢٣) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون»...، رقم (١٣٠٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال...، رقم (٢٣١٥).

الميت من غير ندب ولا نياحة، ثم ذكر حديثين عن رسول الله ﷺ أنه بكى حين رأى طفلين في النزع:

أما الأول: فهو ابن ابنته، رُفع إليه وهو في سياق الموت فذرفت عينا رسول الله ﷺ رحمة بهذا الصبي؛ لأنه يراه ينازعه الموت، فَرقَّ رحمة له عليه الصلاة والسلام. فقال له سعد بن عبادة: ما هذا يا رسول الله؟! يعني: كيف تبكي؟! فقال ﷺ: «**هذه رحمة - يعني أنني رحمت هذا الصبي ينازع نفسه فرققت له - وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**» كلما كان الإنسان بعباد الله أرحم كان أقرب إلى رحمة الله، ولهذا ينبغي لك أن تعوِّد نفسك على الرقة وعلى الرحمة للأطفال والحيوانات وغير ذلك ممن هو أهل للرحمة، حتى تكون أهلاً لرحمة الله عزّ وجلَّ «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**» وفي هذا دليلٌ على جواز البكاء على الميت؛ لأن النبي ﷺ بكى وقال: «**هذه رحمة**» وفيها دليلٌ على أنه ينبغي للإنسان أن يتعرض لرحمة الله - عزَّ وجلَّ - بكل وسيلة ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٦]، وفي قوله ﷺ: «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**» إشارة إلى أن جزاء الله من جنس العمل، فلما كان هذا الإنسان راحمًا لعباد الله تعالى؛ كان الله راحمًا له؛ لأن الله تعالى في حاجة العبد إذا كان العبد في حاجة أخيه. «**من كان في حاجة**

أخيه كان الله في حاجته»[١].

أما الحديث الثاني: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ رُفع إليه ابنه إبراهيم رضي الله عنه وهذا الولد ليس من زوجته خديجة؛ بل من سُرّيته مارية التي أهداها إليه ملك القبط، فسراها النبي ﷺ - أي وطئها بملك اليمين - فأتت له بهذا الولد وبقي ستة عشر شهرًا ومات في حياة النبي ﷺ، رفع إليه وهو يجود بنفسه، ومعنى يجود بنفسه أي: ينازعه الموت، وأشرف مال عند الإنسان نفسه، وهذا المحتضر كأنما يسلمها للملائكة يجود بها، فبكى وذرفت عيناه عليه الصلاة والسلام فقيل له: ما هذا يا رسول الله فقال ﷺ: **«إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»** ثم أعيدت عليه فقالها مرة أخرى **«العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون»** ثم توفي الولد وله ستة عشر شهرًا.

فدلَّ ذلك على أن الإنسان لا حرج عليه إذا بكى رحمةً وحزنًا على فراقه فإن الرسول هنا قال إنه محزون على فراق ابنه، وفيه أيضًا دليل على جواز إخبار الإنسان عن نفسه بأنه محزون من هذه

---

(١) رواه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه...، رقم (٢٤٤٢)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم...، رقم (٢٥٨٠).

المصيبة؛ لأنه ﷺ: قال: «**القلب يحزن**» .

وفيه دليل على أن النبي ﷺ يموت له الولد ويتألم لذلك وأنه يلحقه ما يلحق البشر، وكان له ﷺ من الأولاد سبعة: ثلاثة ذكور، وأربع إناث، وأشهر الذكور هو إبراهيم رضي الله عنه أما الإناث فأفضلهن فاطمة، وهي مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وزينب امرأة أبي العاص بن الربيع، وأم كلثوم ورقية كانتا مع عثمان بن عفان، لما ماتت إحداهما زوجه النبي ﷺ الثانية، ولهذا لم يزوج الرسول ﷺ أحدًا من صحابته ابنتيه إلا عثمان فتميز عثمان رضي الله عنه بأن الرسول ﷺ زوجه ابنتيه، لكن بعد أن ماتت الأولى زوجه الثانية عليه الصلاة والسلام، أما أولاده فهم: القاسم، وعبد الله، وإبراهيم، لكن الذي اشتهر وبقي مدة هو إبراهيم، وكل هؤلاء من خديجة رضي الله عنها، إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية، ولم يبق أحد من أولاده صلوات الله وسلامه عليه لا ذكورهم ولا إناثهم بعد موته إلا فاطمة، كلهم ماتوا في حياته، وهذا من حكمة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فإنه لا أحد يستطيع أن يدفع الموت، ولو كان أعظم الناس جاهًا عند الله، ولو استطاع أحد أن يدفع الموت لدفعه النبي عليه الصلاة والسلام عن أبنائه وبناته ولدفعه عن نفسه ولكنَّ الله ـ جلَّ وعلا ـ بيده الأمر وله كل شيء ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها حتى النبي ﷺ، والله أعلم .

١٥٤ـ باب الكف عما يرى من الميت من مكروه

١/٩٢٨ ـ عَنْ أَبِي رَافِعٍ أَسْلَمَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا فَكَتَمَ عَلَيْه؛ غَفَرَ اللهُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً» رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم[١].

الشرح

قال النوي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين: باب الكفّ عما يرى من الميت من مكروه، ثم ذكر حديث مولى رسول الله ﷺ في فضل الغاسل إذا ستر على الميت ما يرى من مكروه، والذي يرى من الميت من المكروهات نوعان:

النوع الأول: ما يتعلق بحاله.

والنوع الثاني: ما يتعلق بجسده.

فالأول: لو رأى مثلاً أن الميت تغير وجهه واسود وقبح، فهذا ـ والعياذ بالله ـ دليلٌ على سوء خاتمته ـ نسأل الله العافية ـ فلا يحل له أن يقول للناس: إني رأيت هذا الرجل على هذه الصفة؛ لأن هذا

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك»، كتاب الجنائز (١/ ٥٠٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٩).

كشف لعيوبه، والرجل قدم على ربه وسوف يجازيه بما يستحق من عدل أو فضل، إن كان عمل خيرًا؛ فالله تعالى يجزيه الحسنة بعشر أمثالها، وإن كان على خلاف ذلك ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠].

الثاني: ما يتعلق بجسده مثل أن يرى بجسده عيبًا، إما بَرَصًا أو سوادًا، خِلْقيًّا وليس خُلُقًا، أو غير ذلك مما يكره الإنسان أن يطلع عليه غيره، فهذا أيضًا لا يجوز له أن يبينه للناس، ويقول رأيت: فيه برصًا في بطنه أو في ظهره أو في عضده وما أشبه ذلك. ولهذا قال العلماء رحمهم الله: يجب على الغاسل أن يستر ما رآه إن لم يكن حسنة. أما إذا رأى خيرًا بالميت ورأى استنارة في وجهه أو رآه يبتسم أو ما أشبه ذلك فهذا خير، وليخبر به الناس، يعني أن ذلك مما يجعل الناس يثنون عليه خيرًا، ولا بأس به، ولا يعد هذا من الرياء أو ما أشبه ذلك؛ بل هذه من عاجل بشرى المؤمن؛ لأن المؤمن قد يكون له مبشرات، ومنها هذه المسألة أنه يرى بعد موته على حالٍ حسن، وكذلك يرى الرؤيا الحسنة لنفسه أو يراها له غيره، كل هذه من المبشرات التي تبشر بالخير.

ولهذا قال العلماء رحمهم الله: يكره لغير المعين في غسله أن يحضر غسله يعني الميت إذا غسلناه لا يدخل عليه إلا غاسل أو من

يعينه على الغسل، أما غيره لا يدخل، حتى ولو كان قريبًا له لا يدخل؛ لأنه ربما يرى ما يكره فيكون في ذلك إساءة إلى الميت، والله الموفق.

* * *

١٥٥ـ باب الصلاة على الميت وتشييعه وحضور دفنه وكراهة اتباع النساء الجنائز

١/٩٢٩ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ شَهِدَ الجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا؛ فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفن، فَلَهُ قِيرَاطَانِ» قِيلَ: وَمَا القِيراطَانِ؟ قال: «مِثْلُ الجَبَلَيْنِ العَظِيمَين». متفقٌ عليه[١].

٢/٩٣٠ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إيمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيُفرَغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ؛ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ» رواه البخاري[٢].

٣/٩٣١ ـ وَعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: نُهِينَا عَنِ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَلَمْ يُعزَمْ عَلَيْنَا» متفقٌ عليه[٣]. «ومعناه» ولَمْ يُشَدَّد في النَّهيِ كما يُشَدَّدُ في المُحَرَّمَاتِ.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب من انتظر حتى تدفن...، رقم (١٣٢٥)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها...، رقم (٩٤٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب اتباع الجنائز من الإيمان...، رقم (٤٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب اتباع الجنائز...، رقم (١٢٧٨)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب نهي النساء عن اتباع الجنائز...، رقم (٩٣٨).

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين باب الصلاة على الميت وتشييعه وحضور دفنه وكراهة اتباع النساء الجنائز.

الجَنَازة ـ بالفتح ـ اسم للميت، والجنازة بالكسر ـ اسم للنعش الذي عليه الميت.

ثم ذكر المؤلف حديث أبي هريرة الأول والثاني، وحديث أم عطية، وليعلم أن تشييع الجنائز من حقوق المسلمين على إخوانهم أن يشيعوا جنائزهم وأن يخرجوا مع الجنازة، قال العلماء: وإذا خرج مع الجنازة فينبغي أن يكون متخشعًا متفكرًا في مآله، وأنه كما هو الآن يتبع جنازة هذا الرجل فسوف يأتي اليوم الذي يتبع الناس فيه جنازته، فكما حمل هذا هو أيضًا سيحمل.

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته
يومًا على آلة حدباء محمول

فيفكر في أمره، وأنه مهما طالت به الدنيا فسوف يحمل كما حمل هذا، ويشيع كما شيع هذا، ولهذا قالوا: لا ينبغي لتابع الجنازة أن يتحدث في شيء من أمور الدنيا؛ بل يفكر في نفسه، وإذا كان معه أحد يكلمه فليذكره بمآل كل حي، حتى يكون تشييع

الجنازة تشييعًا وعبرة، أي قضاء لحق المسلم، وعبرة للمشيِّع.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ حديثي أبي هريرة وفيهما أن من تبع الجنازة من بيتها حتى يُصلَّى عليها ثم تدفن فله قيراطان، فسئل عن القيراطين قال: مثل الجبلين العظيمين، وفي رواية لمسلم: «**أصغرهما مثل جبل أحد**». ولما حدث ابن عمر بهذا الحديث قال: قد فرطنا في قراريط كثيرة ـ يعني ما كنا نخرج مع الجنائز، وفرطنا في هذه القراريط الكثيرة، ثم صار رضي الله عنه يخرج بعد ذلك مع الجنائز رضي الله عنه؛ فإذا شهدتها حتى يصلى عليها فلك قيراط، وإن استمررت معها حتى تدفن فلك قيراطان، لكن في رواية البخاري اشترط أن يكون ذلك إيمانًا واحتسابًا، يعني: إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده واحتسابًا لثوابه، وليس قصدك المجاملة لأهل الميت؛ لأن المجاملة لأهل الميت ثواب عاجل في الدنيا فقط، وقد يؤجر الإنسان على مجاملة إخوانه، لكن الأجر الذي هو قيراطان لمن تبعها إيمانًا واحتسابًا. إيمانًا بالله وثقة بوعده واحتسابًا لثوابه.

أما النساء فقالت أم عطية رضي الله عنها: نهينا عن اتباع الجنائز، ولم يعزم علينا، «نهينا» إذا قاله صحابي أو قالته صحابية فالمعنى أن النبي ﷺ؛ نهاهم، لأن النبي ﷺ هو الذي له الأمر والنهي، فإذا قال الصحابي «نهينا» أو قالت الصحابية «نهينا»

فالمعنى نهانا رسول الله ﷺ نُهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا».

أخذ بعض العلماء من هذا الحديث أن اتباع النساء للجنائز مكروه؛ لأنها قالت: نهينا ولم يعزم علينا. وقال بعض العلماء: بل اتباع النساء للجنائز محرم؛ لثبوت النهي. وقول أم عطية: ولم يعزم علينا. هذا تفقه منها رضي الله عنها ولا ندري هل الرسول ﷺ هو الذي نهاهن ولم يعزم عليهن، أو هي التي فهمت أنه لم يعزم على النساء بترك اتباع الجنائز.

والصحيح أن اتباع المرأة للجنازة حرام، وأنه لا يجوز للمرأة أن تتبع الجنازة؛ لأنها إذا تبعتها فالمرأة لا شك أنها ضعيفة ربما تصيح، وتولول، وتضرب الخد، وتنتف الشعر، وتمزق الثوب، لا تصبر المرأة، وأيضًا ربما يحصل اختلاط بين الرجال والنساء في تشييع الجنازة فيحصل بهذا فتنة وتزول الحكمة من اتباع الجنائز بحيث يكون الرجال أو الأراذل من الرجال يكون ليس لهم هَمٌّ إلا ملاحقة هؤلاء النساء أو التمتع بالنظر إليهن، فالواجب منع النساء من اتباع الجنائز، وهو لا يوجد والحمد لله في بلادنا لكن الكلام على الحكم الشرعي، فالصحيح أن اتباع المرأة للجنائز حرام ولا يجوز، كما أن زيارة المرأة للمقابر حرام؛ لأن النبي ﷺ لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج. والله الموفق.

فإذا قال قائل: هل يجوز للمرأة أن تزور قبر الرسول ﷺ؟

فالإجابة: هي أنه لا يجوز للمرأة أن تزور قبر النبي ﷺ لأنه قبر وإذا كان قصدها السلام عليه فإنه يحصل ولو كانت في أقصى الأرض إذا قالت: السلام عليك أيها النبي؛ فإن الله قد وكَّل ملائكة يحملون سلامك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبلغونه، والله أعلم.

* * *

١٥٦ـ باب استحباب تكثير المصلِّين على الجنازة وجعل صفوفهم ثلاثة فأكثر

١/ ٩٣٢ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يَبلُغُون مائةً كلُّهم يَشْفَعُونَ له إلا شُفِّعُوا فِيهِ» رواه مسلم[١].

٢/ ٩٣٣ ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُون رَجُلاً لا يُشرِكُونَ بِاللهِ شَيئًا إلاَّ شَفَّعَهُم اللهُ فِيهِ» رواه مسلم[٢].

٣/ ٩٣٤ ـ وَعَنْ مَرْثَدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ اليزنيِّ قال: كَانَ مالِكُ بنُ هُبَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِذَا صَلَّى عَلَى الجَنَازَةِ، فَتَقَالَّ الناسُ عَلَيْهَا، جَزَّأَهُمْ عَلَيْهَا ثَلاثَةَ أَجْزَاءٍ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ثَلاثَةُ صُفُوفٍ؛ فَقَدْ أَوْجَبَ». رواه أبوداود، والترمذي[٣] وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

قال النووي ـ رحمه الله ـ باب استحباب تكثير المصلين على

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب من صلى عليه مائة شُفِّعوا فيه. . .، رقم (٩٤٧).

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شُفِّعوا فيه. . .، رقم (٩٤٨).

(٣) رواه أبوداود، كتاب الجنائز، باب في الصفوف على الجنازة. . .، رقم (٣١٦٦)، والترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على الجنازة والشفاعة للميت. . .، رقم (١٠٢٨)، وابن ماجه، كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء فيمن صلى عليه جماعة من المسلمين. . .، رقم (١٤٩٠).

الميت، ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ ثلاثة أحاديث: حديث عائشة وحديث عبد الله بن عباس وحديث مالك بن هبيرة رضي الله عنهم، وكلها تدلّ على أنه كلّما كثر الجمع على الميت؛ كان ذلك أفضل وأرجى للشفاعة، ففي حديث عائشة أنه من صلَّى عليه طائفة من الناس يبلغون مائة يشفعون له إلا شفعهم الله فيه، ومعلوم أن المصلين على الجنازة يشفعون إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لهذا الميت فهم يسألون الله له المغفرة والرحمة، والدعاء للميت في صلاة الجنازة من أوجب ما يكون في الصلاة؛ بل هو ركنٌ من أركان الصلاة لا تصح صلاة الجنازة إلا به، إلا المسبوق.

وحديث ابن عباس يدلّ على أنه من قام على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه ـ يعني: قَبِلَ شفاعتهم فيه ـ وهذه بشرى للمؤمن، إذا كَثر الناس على جنازته فشفعوا له عند الله أن الله تعالى يشفعهم فيه.

أما حديث مالك بن هبيرة ففيه أن الرسول ﷺ قال: «من صلى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب» يعني: وجبت له الجنة. وهذه الأحاديث كلّها تدلّ على أنه كلما كثر الجمع كان أفضل، ولهذا نجد أن بعض الناس إذا صلى على جنازة في مسجد نبَّه أهل المساجد الأخرى ليحضروا إليه حتى يكثر الجمع، فينبغي للإمام إذا رأى

الناس الذين جاءوا ليشهدوا صلاة الجنازة، ورأى أنهم قد فاتهم شيء من الصلاة ـ أي صلاة الفريضة ـ ألا يتعجل في الصلاة على الميت حتى ينتهي الذين يقضون صلاتهم ليشاركوا الحاضرين في الصلاة على الميت، فيكون ذلك أكثر للجمع، وربما تكون دعوة واحد من هؤلاء الذين يقضون الصلاة هي المستجابة، لا يدري.

وكون بعض الناس من حين أن يسلم يقوم ويصلي على الجنازة ـ مع أنه يقضي خلفه صف أو أكثر ـ فهذا وإن كان جائزًا لكن الأفضل أن ينتظر حتى يتم الناس صلاتهم ويصلون على الجنازة وهذا لا يفوّت شيئًا كثيرًا، فغاية ما هنالك بضع دقائق على الأكثر، والله الموفق.

* * *

١٥٧ـ باب ما يقرأ في صلاة الجنازة

١/٩٣٥ ـ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَوْفِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ، وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، واغْسِلْهُ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّه مِنَ الخَطَايَا، كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلاً خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وأَدْخِلْه الجَنَّةَ، وأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ» حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أكُونَ أنَا ذلكَ الميِّتَ. رواه مسلم[(١)].

الشرح

قال المؤلف النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين: باب ما يقرأ في صلاة الجنازة.

صلاة الجنازة تشتمل على قراءة الفاتحة، ثم الصلاة على النبي ﷺ، ثم الدعاء، فيبدأ أولاً بالفاتحة؛ لأنها ثناء على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، ثم الصلاة على النبي ﷺ وهو أحق الناس أن يقدم حتى على النفس، ثم بعد ذلك الدعاء العام: «**اللهم اغفر لحينا وميتنا**[(٢)]»، ثم

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة...، رقم (٩٦٣).
(٢) سيأتي تخريجه في الصفحة التالية.

الدعاء الخاص للميت: «اللهم اغفر له وارحمه» وهذا الترتيب كالترتيب في التشهد حيث التشهد أولاً: التحيات لله وهو الثناء على الله، ثم السلام على النبي، ثم السلام على الإنسان وعلى عباد الله الصالحين، وهذا أيضًا ـ الدعاء للميت ـ كذلك مرتب، لكن يبدأ بالعام قبل الخاص بخلاف التشهد فإنه يبدأ بالخاص قبل العام؛ لأن التشهد تدعو لنفسك (السلام علينا) والنفس مقدمة على الغير إلا على النبي ﷺ.

الحاصل أن صلاة الجنازة يكبر الإنسان التكبيرة الأولى ثم يقول:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم يقرأ الفاتحة كاملة، ثم يكبر التكبيرة الثانية فيصلى على النبي ﷺ، وأحسن ما يصلى به عليه ما علَّمه أمته: **«اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»**[1]، ثم يكبر الثالثة فيدعو لعامة المسلمين: **«اللهم اغفر**

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/٣٠٦)، وأبوداود، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت. . .، رقم (٣٢٠١)، والترمذي، كتاب الجنائز، باب ما يقول في الصلاة على الميت. . .، رقم (١٠٢٤)، والنسائي، كتاب الجنائز، باب الدعاء. . .، رقم (١٩٨٦)، وابن ماجه، كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في الدعاء في الصلاة =

لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا»، ثم يدعو للميت الدعاء الخاص، ومنه ما في حديث عوف بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى على جنازة فحفظ من دعائه: «اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله (يعني ضيافته يعني أكرمه في ضيافته؛ لأن الميت يكون ضيفًا على الله ـ عزَّ وجلّ ـ إذا انتقل إلى نزله من هذه الدنيا إما أن يكون في قبره معذبًا أو منعمًا، فيقول أكرم نزله: (وأوسع مُدخله) ويجوز مَدخله ـ يعني: أوسع قبره ـ؛ لأنه يدخل فيه.

«واغسله بالماء والثلج والبرد» واغسله يعني طهِّره من الذنوب بالماء والثلج والبرد، ذكر الثلج والبرد؛ لأنه بارد، وذكر الماء؛ لأن به النظافة، والذنوب ـ أجارنا الله وإياكم منها ـ عقوبتها حارة، فناسب أن يقرن مع الماء الثلج والبرد، فيحصل بالماء التنظيف، ويحصل بالثلج والبرد التبريد.

«ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس» يعني: نظفه تنظيفًا كاملاً من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، أي: الوسخ، وذكر الثوب الأبيض لأنه هو الذي تظهر فيه أدنى دنسة، فإذا كان الثوب الأبيض نقيًّا؛ فمعناه أنه ليس هناك دنس

= على الجنازة، رقم (١٤٩٨).

إطلاقًا بخلاف الثوب الأسود والأحمر والأخضر وما أشبه ذلك، فإنه ليس كالأبيض تبين به الدنسة بيانًا واضحًا «**اللهم أبدله دارًا خيرًا من داره**»؛ لأنه انتقل من دار الدنيا إلى دار البرزخ، ودار الدنيا ـ كما نعلم ـ دار محن وأذًى وكدر فيقول: «**أبدله دارًا خيرًا من داره**» ليكون منعمًا في قبره «**وأهلاً خيرًا من أهله**» أهله: ذووه؛ كأمه وخالته وبناته وأبيه، وابنه وما أشبه ذلك «**وزوجًا خيرًا من زوجه**» يعني زوجة خيرًا من زوجته وذلك بالحور العين، وكذلك بزوجته في الدنيا؛ لأن الإنسان إذا تزوج امرأة في الدنيا وماتت على الإيمان فإنها تكون زوجته في الآخرة، فإن قال قائل: كيف تكون خيرًا من زوجتي في الدنيا وهي واحدة؟!

قلنا: خيرًا منها في الصفات والجمال وغير ذلك «**وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار**» كل هذا دعاء يدعو به الإنسان للميت وينبغي أن يُخلص الإنسان للميت في هذا الدعاء، فإن كانت امرأه فإنه يقول: «**اللهم اغفر لها وارحمها، وعافها واعف عنها. .**» ـ يعني بضمير المؤنث، فإن كان لا يدري هل هي ذكر أو أنثى فإنه مخير، إن شاء قال: اللهم اغفر له ـ يعني لهذا الشخص ـ والمرأة تسمَّى شخصًا، أو إن شاء قال: «اغفر لها» أي: لهذه الجنازة، والجنازة تطلق على الرجل وعلى المرأة، فإن كان يعلم أنه ذكر

ذَكَّره، وإن كان يعلم أنها أنثى أنَّثها، وإن كان لا يدري؛ جاز أن يذكره، وجاز أن يؤنثه، فإن ذكره فالمعنى «اغفر له» أي: لهذا الشخص الذي بين أيدينا، أو يقول: «اغفر لها» أي: لهذه الجنازة، والجنازة تطلق على الرجل والمرأة، والله الموفق.

* * *

٢/٩٣٦ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَة وَأَبِي قَتَادَةَ، وَأَبِي إِبْرَاهِيمَ الأَشْهَلِيِّ عَنْ أَبِيهِ - وأَبُوه صَحَابيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّه صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ فقال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَصَغِيْرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وأُنْثَانَا، وشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا. اللَّهُمَّ مَنْ أحْيَيْتَهُ مِنَّا، فَأَحْيِهِ عَلَى الإسْلام، وَمَنْ تَوَفَّيْتَه مِنَّا، فَتَوَفَّهُ عَلَى الإيمانِ، اللَّهُمَّ لا تَحْرِمنَا أَجْرَهُ، وَلاَ تَفْتِنَّا بَعْدَهُ» رواه أبوداود والترمذي من رواية أبي هُريرة والأشهَلِي، ورواه أبوداود من رواية أبي هريرة وأبي قَتَادَة. قال الحاكم: حديث أبي هُريرة صَحيحٌ على شَرْطِ البُخاري ومُسلم، قال الترمذي: قال البُخَاريُّ: أصح روايات هذا الحديث رواية الأشهلي قال البخاري: وأَصَحُّ شيءٍ في البابِ حديث عَوْفِ بن مالك[١].

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٣٠٦/٢)، وأبوداود، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت. . .، رقم (٣٢٠١)، والترمذي، كتاب الجنائز، باب ما يقول في الصلاة على الميت. . .، رقم (١٠٢٤)، وابن ماجه، كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنازة. . .، رقم (١٤٩٨).

٩٣٧/٣ ـ وَعَنْ أَبِي هُريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ؛ فَأَخْلِصُوا لهُ الدُّعَاءَ» رواه أبو داود[١].

الشرح

هذا الحديث فيما يدعى به في الصلاة على الميت، وقد سبق حديث عوف بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في الدعاء الخاص للميت، أما هذا الدعاء الذي ذكره المؤلف ـ رحمه الله ـ فهو الدعاء العام، يقول المصلِّي على الميت: «اللهم اغفر لحينا وميتنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، وشاهدنا وغائبنا» وهذه الجمل يغني عنها جملة واحدة، لو قال اللهم اغفر لحينا وميتنا شمل الجميع، لكن مقام الدعاء ينبغي فيه البسط والتفصيل؛ لأن الدعاء كل جملة منه عبادة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وإذا كررته؛ ازددت بذلك ثوابًا.

قوله: «حينا وميتنا» يشمل الحي الحاضر والميت القديم والميت في عصره «وصغيرنا وكبيرنا» كذلك أيضًا يشمل الصغير والكبير الحي والميت، وذكر الصغير مع أن الصغير لا ذنب له من باب التبعية، وإلا فإن الصغير ليس له ذنب حتى يسأل له المغفرة «وذكرنا وأنثانا» مثلها عامة «وشاهدنا وغائبنا» الحاضر والمسافر

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت. . .، رقم (٣١٩٩)، وابن ماجه، كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الميت. . .، رقم (١٤٩٧).

مثلاً «**اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته فتوفه على الإيمان**» الحياة ذكر معها الإسلام وهو الاستسلام الظاهر، أما الموت فقال توفه على الإيمان؛ لأن الإيمان أفضل ومحله القلب، والمدار على ما في القلب عند الموت وفي يوم القيامة «**اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده**» لا تحرمنا أجره يعني: بالصلاة عليه؛ لأن الإنسان يؤجر بالصلاة على الميت ـ كما سبق ـ أن من شهدها حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان[١] هذا أجره.

كذلك أيضًا أجر آخر للمصاب بهذا الميت الذي حزن لفراقه يؤجر أيضًا على صبره على المصيبة «**ولا تفتنا بعده**»: يعني لا تضلنا عن ديننا بعده؛ لأن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، ما دام الإنسان لم تخرج روحه فإنه عرضة لأن يفتن في دينه ـ والعياذ بالله ـ ولهذا قال: «**لا تفتنا بعده**» فينبغي للإنسان أن يدعو بهذا الدعاء اقتداءً برسول الله ﷺ.

أما حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إذا دعوتم للميت فأخصلوا له الدعاء**» فالمعنى أنك تدعو بحضور قلب وإلحاح على الله لأخيك الميت؛ لأنه محتاج لدعائك، والله الموفق.

---

(١) سبق تخريجه، ص.

١٥٨ ـ باب الإسراع بالجنازة

١/٩٤١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَسْرِعُوا بِالجَنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً، فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ، وَإِنْ تَكُ سِوَىٰ ذَلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ» متفقٌ عليه. وفي رواية لمُسلم: «فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا عَلَيْهِ»[1].

٢/٩٤٢ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فإِنْ كَانَتْ صَالحةً، قالتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قَالَتْ لأَهْلِهَا: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ تَذهبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيءٍ إلاَّ الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَ الإِنْسَانُ لَصَعِقَ» رواه البخاري[2].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين: باب الإسراع بالجنازة، الإسراع في الجنازة يشمل الإسراع في تجهيزها، والإسراع في تشييعها، والإسراع في دفنها، وذلك أن

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب السرعة بالجنازة...، رقم (١٣١٥)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب الإسراع بالجنازة...، رقم (٩٤٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب قول الميت وهو على الجنازة: قدموني...، رقم (١٣١٦).

الميت إذا مات فإما أن يكون صالحًا وإما أن يكون سوى ذلك، فإن كان صالحًا فإن حبسه حيلولة بينه وبين ما أعده له الله من النعيم في قبره؛ لأنه ينتقل من الدنيا إلى خير منها وإلى أفضل؛ لأنه حين احتضاره وحين منازعته الموت يبشر، فيُقال لروحه: «**أبشري برحمة من الله ورضوان**» فيشتاق إلى هذه البشرى، فيحب أن يتعجل وأن يعجل به، فإذا حبس كان في هذا شيء من الجناية عليه والحيلولة بينه وبين ما أعده الله له من النعيم. وإن كان غير صالح ـ والعياذ بالله ـ فإنه لا ينبغي أن يكون بيننا وينبغي أن نسارع بالتخلص منه، ولهذا قال النبي ﷺ: «**أسرعوا بالجنازة**» أسرعوا بها في تجهيزها وتشييعها ودفنها، لا تؤخروها «**فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه**».

خير: يعني خير مما انتقلت منه «**تقدمونها إليه**» لأنها تُقَدَّم ـ نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم ـ إلى رحمة الله ونعيم وسرور ونور، فتقدمونها إلى خير «**وإن تك سوى ذلك**» يعني: ليست صالحة «**فشر تضعونه عن رقابكم**» تسلمون منه تفتكُّون منه؛ لأن ما لا خير فيه لا خير في بقائه.

إذًا يُستفاد من هذا الحديث أنه يسن الإسراع بالجنازة وألا تؤخر، وما يفعله بعض الناس اليوم إذا مات الميت قالوا انتظروا حتى يقدم أهله من كل فجٍّ، حتى يأتوا بعضهم ربما يكون في أوروبا

أو في أمريكا، ويقول انتظروا حتى يحضر بعد يوم أو يومين؛ فهذا جناية على الميت وعصيان لأمر الرسول ﷺ «**أسرعوا بالجنازة**» فإذا جاء أهله وقد دفن فإنهم يصلون على قبره، فالأمر واسع والحمد لله، وهو إذا حُبس دفنه حتى يأتوا، فماذا ينفعه؟ لن ينفعوه إلا بالدعاء والصلاة عليه.

وهذا حاصل إذا صلّوا عليه في قبره، ولا وجه لهذا الحبس إطلاقًا، فإن قال قائل: أليس النبي ﷺ مات يوم الاثنين ولم يدفن إلا ليلة الأربعاء؟! قلنا: بلى، لكن الصحابة رضي الله عنهم أرادوا ألا يدفنوا النبي ﷺ حتى يقيموا خليفة على عباد الله بعده؛ لئلا تخلو الأرض عن خليفة لله عز وجل في أرضه، فلهذا لما تمت مبايعة أبي بكر رضي الله دفنوا النبي ﷺ وهذه علة ظاهرة واضحة.

وقوله ﷺ: «**إن تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن تك سوى ذلك..**» يُستفاد منه أنه ينبغي أن يعبر عن الألفاظ السيئة بما يدل عليها بدون سوء؛ لأنه قسيم الصالحة الفاسدةِ، لكنه ﷺ عدل عن كلمة وإن «**تك فاسدة**» إلى قوله: «**وإن تك سوى ذلك**» وهذا من باب التأدب في اللفظ، وإلا فالمعنى واحد، والتأدب في اللفظ له شأن عجيب، انظر إلى قوله تعالى عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، لما أرادوا الخير أضافوه إلى

الله ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ وفي الشر قالوا: ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾ ولم يقولوا: أشر أراده الله، مع أن الله مريد للخير والشر، لكن الشر الذي يريده الله ليس شرًّا في فعله؛ بل في مفعولاته.

أما فعله ـ عزَّ وجلَّ ـ فإنه لا شك أنه خير، لكن يقدر الشر للخير ولحكمة يريدها الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

الحاصل أنه ينبغي للإنسان أن يتأدب في صياغة الألفاظ من غير إخلال بالمعنى، ويُذكر أن ملكًا من الملوك رأى رؤيا، رأى أن أسنانه قد سقطت، واهتم لذلك، فجمع الذين يعبرون الرؤيا ـ يعني الذين يفسرونها ـ فقال له أحدهم: إن حاشيتك تموت؛ لأنه فسّر رؤيا سقوط الأسنان بموت حاشيته وأهله، ففزع الملك، ولم يعجبه هذا التفسير، فأمر بالرجل فجلد، ثم دعا آخر وقال له إنه رأى أن أسنانه سقطت فما التفسير؟ قال: إن الملك يكون أطول أهله عمرًا، فأكرمه وأجازه مع أن المعنى واحد لماذا؟ لأن الألفاظ لها تأثير، فلهذا قال الرسول ﷺ: **«وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم»** فالإنسان لا يجب أن يحمل الشر أو يبقى الشر عنده.

ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن الرجل إذا مات وحملت جنازته **«فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني»** تقول ذلك بصوت مسموع يسمعه كل أحد إلا الإنسان، لا يسمعه

نعمة من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لأننا لو سمعنا ما يقوله الأموات على نعوشهم لانزعجنا، لكن الله أخفاه عنا، تقول «**قدموني قدموني**» إلى أي شيء يقدمونها؟ لما أعد الله لها من النعيم الذي بشرت به عند الاحتضار، وإن لم تكن صالحة قالت: «**يا ويلها أين تذهبون بها**» نعوذ بالله تدعو بالويل؛ لأنها ستقدم ـ نسأل الله العافية ـ إلى عذاب في القبر يضيق عليها القبر حتى تختلف الأضلاع، ويفتح لها باب إلى النار، نسأل الله العافية ـ ولا أحد يعلم بذلك نحن لا نشعر بهذا، ومن نعمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن أخفاه علينا، ولو علمنا بذلك ما تدافنَّا أبدًا، لكن الله عز وجل يُخفي عنا هذا، وهذا يدلّ على أن من حق الميت علينا أن نبادر به إلى ما أنعم الله به عليه، ولذلك قال أهل العلم: يسن الإسراع في تجهيز الميت، إلا إذا مات بغتةً فإنه ينتظر حتى يتيقن أنه مات؛ لأنه يحتمل أن يكون غشية وأنه حي، فينتظر حتى يتيقن أنه مات ثم يبادر به، والله الموفق.

* * *

١٥٩ـ باب تعجيل قضاء الدين عن الميت والمبادرة إلى تجهيزه إلا أن يموت فجأة فيترك حتى يتيقن موته

١/٩٤٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «نَفْسُ المُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدِيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ[(١)].

٢/٩٤٤ ـ وعن حُصَين بْنِ وَحْوَحٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ طَلْحَةَ بنَ البَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَالَ: «إِنِّي لا أُرَى طَلْحَةَ إلاَّ قَدْ حَدَثَ فِيهِ المَوْتُ فَآذِنُونِي بِهِ وَعَجِّلُوا بِهِ، فَإِنَّه لا يَنْبَغِي لِجِيفَةِ مُسْلِمٍ أَنْ تُحْبَسَ بَيْنَ ظَهْرَانَي أَهْلِهِ» رواه أبوداود[(٢)].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين: باب تعجيل قضاء الدين عن الميت والمبادرة إلى تجهيزه إلا أن يموت فجأة فيترك حتى يتيقن موته.

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**نفس المؤمن معلَّقة بدينه...**» رقم (١٠٨٧)، وابن ماجه، كتاب الأحكام، باب التشديد في الدين...، رقم (٢٤١٣).

(٢) رواه أبوداود، كتاب الجنائز، باب التعجيل بالجنازة وكراهية حبسها...، رقم (٣١٥٩).

قوله: «تعجيل قضاء الدين عن الميت»: يعني: أن الإنسان إذا مات فإنه يجب على أهله أن يبادروا بقضاء دينه إذا كان عليه دين، ولا يجوز لهم أن يؤخروا ذلك؛ لأن المال الذي ورثوه منه ماله وليس لهم فيه حق إلا إذا انتهى الدين يعني: الورثة ليس لهم حق في درهم واحد من التركة حتى يقضى الدين ـ ولهذا قال الله تعالى ـ في آيات المواريث: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرٍّۚ ﴾ [النساء: ١٢]، فليس للورثة حق أن يأخذوا شيئًا من التركة حتى يقضوا دين الميت، ويجب عليهم المبادرة في قضاء الدين، إلا إذا كان مؤجلاً فإنه يطلب من أهل الدين أن ينتظروا، فإن أبوا فإنه يعجل لهم، وإلا إذا وثق الورثة برهن يُحرِز، أو كفيل غارم.

وقد تهاون الناس في قضاء الدين عن الأموات، فتجد الميت يموت وعليه الدين ـ فيلعب الورثة بالتركة ويؤخرون قضاء الدين، يكون مثلاً عليه مئات الآلاف، وخلَّف عقارات كثيرة، فيقول الورثة: لا نبيع العقارات، بل ننتظر حتى تزيد العقارات ثم نبيعها، وهذا حرام، فالواجب عليهم أن يبادروا حتى ولو باعوا الشيء بنصف الثمن؛ لأن المال ليس لهم، المال للميت، ومن ذلك أيضًا إذاكان الإنسان قد اقترض من صندوق التنمية العقارية ولم يدفع أقساطًا تجد الورثة يلعبون ولا يوفون صندوق التنمية، وربما يسول

لهم الشيطان أن يرفعوا إلى الحكومة طلب العفو عنه ثم يقولون ننتظر متى جاء الرد ربما يأتي الرد بالرفض، وربما يُعفى عنه، لكن لا يعلم، فلا يحل لهم ذلك، والواجب أن يبادروا بقضاء الدين عن الميت، أما إذا كان الميت قد أوفى ماعليه من الأقساط التي حلَّت في حياته وبقي البيت مرهونًا لصندوق التنمية فإن الميت لا يبرأ بذلك، ولا يلحقه شيء، بعض الناس من أهل الورع ـ إذا مات الميت وقد اقترض من صندوق التنمية وقد أوفى جميع الأقساط التي حلت عليه في حياته يظنون أن الميت تتعلق نفسه بهذا الدين، وليس الأمر كذلك، ما دام هناك رهن فالميت بريء منه، ويدل على هذا أن النبي ﷺ مات وعليه دين لرجل من اليهود وقد أعطاه رهنًا درعه، أعطاه الرسول ﷺ درعه رهنًا فهل نقول: إن نفس الرسول ﷺ معلقة بالدين! لا؛ لأنه قد رهنه شيئًا يمكنه الاستيفاء به منه.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه» يعني أن نفسه وهو في قبره معلقة بالدين كأنها ـ والله أعلم ـ تتألم من تأخير الدين، ولا تفرح بنعيم ولا تنبسط؛ لأن عليه دينًا ومن ثم قلنا: إنه يجب على الورثة أن يبادروا بقضاء الدين.

أما الحديث الثاني: فقد تقدم الكلام عليه وهو أنه يجب ـ أو

يسن بتأكد الإسراع في الجنازة ولهذا قال: «**لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهراني أهله**» لكن لو حبست لمدة ساعة أو ساعتين لانتظار كثرة الجمع، كما لو مات في أول النهار مثلاً يوم الجمعة وقالوا: ننتظر إلى الصلاة لكثرة الجمع، فهذا لا بأس به ـ إن شاء الله ـ؛ لأنه تأخير لا يضر، والله الموفق.

* * *

١٦٠ـ باب الموعظة عند القبر

١/٩٤٥ ـ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَأَتَانَا رَسُولُ الله ﷺ فقعَدَ، وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَسَ وَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ ومَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّة» فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلاَ نَتَّكِل عَلَى كِتَابِنَا؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» وذكر تمام الحديث. متفق عليه[1].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين:

باب: الموعظة عند القبر.

والموعظة: هي تذكير الناس بما يلين قلوبهم، إما بترغيب في خير، وإما بترهيب من شر هذه هي الموعظة، وأعظم واعظ وأفضله وأصلحه للقلب هو القرآن الكريم كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، فالقرآن لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ـ هو أعظم واعظ، لكنَّ قلوب كثير من الناس أو أكثر

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ...﴾، رقم (٧٥٥١)، ومسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة...، رقم (٢٦٤٧).

الناس لا تتعظ بالقرآن؛ لأنها فيها قسوة، وقد قال الله تعالى فيمن إذا تتلى عليه الآيات: ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المطففين: ١٣]، ـ والعياذ بالله ـ يعني أنها مثل الحكايات قال الله تعالى: كلا ليست أساطير الأولين ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، يعني: ختم عليها ما كانوا يكسبون من الأعمال السيئة حتى لا يشعروا بالقرآن كما يشعر به المتقون الذين مَنَّ الله عليهم ـ نسأل الله أن يمنَّ علينا وعليكم، ولكن مع ذلك قد يأتي إنسان أعطاه الله تعالى بيانًا وفصاحة وعلمًا فيعظ الناس ويذكرهم ويلين من قلوبهم بما لا تلين به إذا تلي عليها القرآن وهذا شيء مشاهد مجرب.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ حديث علي بن أبي طالب قال: «**كنا في جنازة ببقيع الغرقد**» بقيع الغرقد هو البقيع المعروف الآن في المدينة، والغرقد نوع من الشجر معروف، وسمي بقيع الغرقد لكثرة هذا النوع من الشجر في هذا البقيع وكان مدفن أهل المدينة، وقد قال النبي ﷺ: «**اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**»[1] قالها ثلاثًا، فكانوا في جنازة فجاء النبي ﷺ فقعد وقعد الناس حوله؛ لأنَّ كل الناس يحبون أن يكونوا جلساء لرسول ﷺ جلسوا حوله وفي يده مخصرة،

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يُقال عند دخول القبر والدعاء لأهلها...، رقم (٩٧٤).

يعني عود مخصرة ـ فنكس يعني نكس رأسه هكذا وجعل ينكت بالعود كالمهموم ﷺ ثم قال: «**ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار**» كل إنسان من بني آدم مكتوب مقعده من الجنة إن كان من أهل الجنة، ومقعده من النار إن كان من أهل النار، كل إنسان مكتوب قبل أن يخلق وذلك قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة نسأل الله أن يجعلني وإياكم من السعداء ـ لما قال هذا الكلام قالوا: يا رسول الله أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب؟!

يعني مادمنا مكتوبين إن كنا من أهل النار فمن أهل النار، أو أهل الجنة فمن أهل الجنة، فما الحاجة للعمل؟! فقال: «**لا تدعوا العمل، الجنة لا تأتي إلا بعمل، والنار لا تأتي إلا بعمل، فلا يدخل النار إلا من عمل بعمل أهل النار، ولا يدخل الجنة إلا من عمل بعمل أهل الجنة**» ثم قال ﷺ: «**اعملوا، فكل ميسر لما خلق له**»[1]، **أما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فسييسرون لعمل أهل الشقاوة**، ثم تلى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠].

---

(١) سبق تخريجه.

قال: اعملوا لا تتكلوا على الكتاب، الكتاب أمر مجهول كل واحد منا لا يدري ماذا كتب له، لكن من عمل خيرًا فهذه بشرى أنه من أهل الخير، ومن عمل سوى ذلك فهذا إنذار، قال: «**اعملوا، فكل ميسر لما خلق له**» فأنت يا أخي إذا رأيت الله قد يسر لك عمل أهل السعادة فابشر أنك من أهل السعادة، وإذا رأيت من نفسك أنك تنقاد للصلاة، وتنقاد للزكاة، تنقاد لفعل الخير، عندك تقوى من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فاعلم أو فاستبشر أنك من أهل السعادة؛ لأن الله قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾[الليل: ٥-٧]. وإن رأيت العكس، رأيت نفسك تنشرح لفعل السيئات والعياذ بالله ـ وتضيق ذرعًا بفعل الطاعات فاحذر، أنقذ نفسك، وتب إلى الله عزَّ وجلَّ ـ حتى ييسر الله لك، واعلم أنك متى أقبلت على الله أقبل الله عليك حتى لو أذنبت، مهما أذنبت إذا أقبلت على الله أقبل الله عليك، قال الله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ [الزمر: ٥٣].

وعلى هذا فإذا جاء الإنسان إلى المقبرة وجلس الناس حوله فهنا يحسن أن يعظهم بما يناسب، بمثل هذا الحديث أو بمثل حديث عبد الرحمن بن سمرة حين جاء الرسول ﷺ انتهى إلى جنازة رجل من الأنصار ووجدهم يحفرون القبر ولم يتم حفره فجلس

وجلسوا حوله، كأن على رؤوسهم الطير؛ ومن كان الطير على رأسه لا يتحرك خشية أن يطير، احترامًا لرسول الله ﷺ وإجلالاً لهذا المجلس وهيبة، فجعل يحدثهم أن الإنسان إذا جاءه الموت نزلت إليه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب، وجعل يحدثهم بحديث طويل يعظهم بذلك عليه الصلاة والسلام[١]، هذه هي الموعظة عند القبر، أن الإنسان إذا جلس وجلس الناس حوله استغل الفرصة بالتذكير، أما أن يقوم القائم عند القبر يتكلم كأنما يخطب فهذا لم يكن من هدي الرسول ﷺ أن الإنسان يقف بين الناس بين الجماهير يتكلم بكلام رفيع كأنما يخطب، هذا ليس من السنة، بل السنة أن تفعل كما فعل الرسول ﷺ فقط، إذا كان الناس جلوسًا ولم يدفن الميت فاجلس في انتظار دفنه وتحدث حديث المجالس وهو الحديث العادي، وليس كالخطبة، ولكن بعض الناس أخذ من هذه الترجمة ترجمة النووي (رحمه الله) هذه ومن قبلها ترجمة البخاري رحمه الله في صحيحه «باب الموعظة عند القبر»، أن يكون خطيبًا في الناس، يخطب الناس برفع صوت، ويا عباد الله، وما أشبه ذلك من الكلمات التي تُقال في الخطب، وهذا فهم خاطئ غير صحيح،

(١) رواه النسائي، كتاب الجنائز، باب ما يُلقى به المؤمن من الكرامة...، رقم (١٨٣٣).

فالموعظة عند القبر تقيد بما جاء في السنة فقط؛ لئلا تتخذ المقابر منابر يخطب بها خطبًا كخطب الجمعة ولكن مواعظ هادئة يكون الإنسان فيها جالسًا ويبدو عليه أثر الحزن والتفكر وما أشبه ذلك، لا أثر الشجاعة وكأنه ينذر الجيش يقول: صبحكم ومساكم، لكن فضل الله يؤتيه من يشاء، فبعض الناس يفهم شيئًا من النصوص فهمًا غير مراد بها، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ومما لا ينبغي فعله أيضاً أن بعض الناس إذا كانوا ينتظرون دفن الجنازة تجدهم يجتمعون أوزاعًا ويتحدثون حديث المجالس، حتى أن بعضهم تسمع له قهقهة، وما أشبه ذلك، وهذا خطأ وليس هذا موضعه، ولهذا قالوا: ينبغي للإنسان المشيع أن يكون وقورًا، وأن يكون مفكرًا في مآله وأنه الآن ينتظر دفن هذا الميت، وغدًا سوف ينتظر الناس دفنه هو، كما دفن غيره يُدفن، كما قال كعب بن زهير:

كـلُّ ابـن أنثـى وإن طـالـت سـلامتـه

يـومًـا علـى آلـةٍ حـدبـاءَ محمـولُ

نسأل الله أن يحسن لنا ولكم الخاتمة.

* * *

١٦١ـ باب الدعاء للميت بعد دفنه والقعود عند قبره ساعة للدعاء له والاستغفار والقراءة

١/٩٤٦ ـ عَنْ أَبِي عَمْرو ـ وَقِيلَ: أَبُو عَبْد الله، وَقِيلَ: أَبُو لَيْلى ـ عُثْمَانَ بْن عَفَّانَ رَضِي اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ المَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، وقال: «اسْتَغْفِرُوا لأخِيكُم، وسَلُوا لَهُ التَّثْبِيت؛ فَإِنَّهُ الآن يُسْأَل» رواه أبوداود[١].

٢/٩٤٧ ـ وَعَنْ عَمْرُو بْنِ الْعَاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: إِذَا دَفَنْتمُونِي، فَأَقِيمُوا حَوْلَ قَبرِي قدْرَ ما تُنْحَرُ جَزورٌ، وُيُقَسَّمُ لَحْمُها حَتَّى أَسْتَأنِسَ بِكُم، وَأَعْلَمَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي. رواه مسلم[٢]. وقد سبق بطوله.

قال الشَّافِعِيُّ رحمهَ الله: وَيُسْتَحَبُّ أَن يُقرَأَ عِنْدَهُ شيءٌ مِنَ القُرآنِ، وَإِن خَتَمُوا القُرآن عِنْدَهُ كانَ حَسَنًا.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين: باب الدعاء للميت بعد دفنه والقعود عند قبره ساعة والدعاء له

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف. . .، رقم (٣٢٢١).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة. . .، رقم (١٢١).

والاستغفار والقراءة، وذلك أن الميت إذا دفن فإنه يأتيه ملكان يسألانه عن ربه ودينه ونبيه، فكان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه يعني: عنده وقال: «**استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل**» فيسن للإنسان إذا فرغ الناس من دفن الميت ـ أن يقف عنده ويقول: «**اللهم اغفر له**»[١] ثلاث مرات، «**اللهم ثبته**» ثلاث مرات؛ لأن النبي ﷺ كان غالب أحيانه إذا دعا دعا ثلاثًا[٢] ثم ينصرف ولا يجلس بعد ذلك لا للذكر ولا للقراءة ولا للاستغفار، هكذا جاءت به السنة، أما ما ذكره رحمه الله ـ عن عمرو بن العاص رضي الله عنه ـ أنه أمر أهله أن يقيموا عنده إذا دفنوه قدر ما تنحر جزور قال: لعلي أستأنس بكم حتى أنظر ماذا أراجع به رُسل ربي يعني من الملائكة. فهذا اجتهاد منه رضي الله عنه لكنه اجتهاد لا نوافق عليه؛ لأن هدي النبي ﷺ أكمل من هدي غيره، ولم يكن النبي ﷺ يقف أو يجلس عند القبر بعد الدفن قدر ما تنحر الجزور ويقسم لحمها، ولم يأمر أصحابه بذلك، غاية ما هنالك أنه أمرهم أن يقفوا على القبر ويستغفروا لصاحب القبر ويسألوا له التثبيت

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة...، رقم (٩٦٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر...، رقم (٢٤٠)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين...، رقم (١٧٩٤).

فقط، ثم ينصرف الناس، وأما القراءة عند القبر فالأصح أنها مكروهة، وأنه يكره للإنسان أن يذهب إلى القبر ثم يقف أو يجلس عنده ويقرأ؛ لأن هذا من البدع، وقد قال النبي ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**» وأقل أحوالها أن تكون مكروهة، والله الموفق.

* * *

١٦٢ـ باب الصدقة عن الميت والدعاء له

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

١/٩٤٨ ـ وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُها وَأُرَاهَا لو تَكَلَّمَتْ، تَصَدَّقَتْ، فَهَلْ لَهَا مِنْ أَجْرٍ إنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قال: «نَعَمْ» متفقٌ عليه[1].

٢/٩٤٩ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الإنسَانُ انقطعَ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدعُو له» رواه مسلم[2].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين: باب الصدقة عن الميت والدعاء له ثم ساق قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]،

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب موت الفجأة البغتة...، رقم (١٣٨٨)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه...، رقم (١٠٠٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق بالإنسان من الثواب بعد وفاته...، رقم (١٦٣١).

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾. أي: من بعد الصنفين السابقين وهم المهاجرون والأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم؛ لأن هذه الأمة ثلاثة أقسام: مهاجرون، وأنصار، ومن جاءوا من بعدهم، وقد جمع الله ذلك في آيتين في القرآن منها قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، هؤلاء ثلاثة أصناف وكذلك في سورة الحشر: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨ - ١٠]، فإذا رأيت الرجل يترحم على الصحابة ويستغفر لهم ويحبهم فاعلم أنه منهم ـ يعني يحشر معهم ـ وإذا رأيت الرجل يسب الصحابة ولا يترحم عليهم ولا يستغفر لهم فإنهم بريئون منه وهو بريء منهم، وليس له حظ في هذه الأمة؛ لأن الصحابة هم الواسطة بيننا وبين رسول الله ﷺ الذين بلغوا شريعة الله عن رسول الله، والرسول ﷺ

هو الواسطة التي بيننا وبين ربنا، الذي بلغنا كلام ربنا، فإذا طعن أحد في الواسطة التي بيننا وبين رسول الله؛ فهو طعن في الشريعة كلها، الشريعة كلها لا قيمة لها إذا كان الذين نقلوها إلينا فسقة أو فجرة، أو ما أشبه ذلك. وخاصة الطعن في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فإنه لا يسبهما أحد وفي قلبه مثقال حبة من إيمان أبدًا ولاسيما أبوبكر وعمر رضي الله عنهما؛ لأنهما أفضل أتباع الرسل على الإطلاق، ليس في أتباع نوح ولا إبراهيم ولا موسى ولا عيسى ولا محمد أفضل من أبي بكر وعمر، فمن طعن فيهما؛ فإنه ليس في قلبه شيء من الإيمان ـ والعياذ بالله ـ فهو مسلوخ الإيمان؟ وكذلك من سبَّ الصحابة وقدح فيهم؛ فإنه قدح في دين الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا﴾ [الحشر: ١٠].

ثم استدل بحديث عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قال: يا رسول الله إن أمي افتلتت نفسها يعني: ماتت بغتة ولو تكلمت لتصدقت أفأتصدق عنها قال: «نعم» فدلَّ ذلك على جواز الصدقة عن الميت، فتنوي إذا أردت أنَّ تتصدق أن هذه عن أمك، عن أبيك، عن أخيك، عن أختك، عن أي إنسان مسلم ميت، تصدق عنه فإن ذلك ينفعه.

وأما الدعاء للميت ففي حديث أبي هريرة: «**إذا مات الإنسان**

انقطع عمله»؛ لأن دار العمل هي دار الدنيا، فإذا مات انتهى، فليس هناك عمل بعد الموت «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية**» يعني: هو نفسه يضع مثلاً وقفًا، عقارًا، أي شيء يقول للفقراء: هذه صدقة جارية، «**أو علم ينتفع به**» يعني: من بعده ولد صالح يدعو له، «**أو ولد صالح يدعو له**»؛ لأن غير الصالح لا يدعو لأبويه ولا يبرهما، لكن الولد الصالح هو الذي يدعو لوالديه بعد موتهما، ولهذا يتأكد علينا أن نحرص غاية الحرص على صلاح أولادنا؛ لأن صلاحهم صلاح لهم وخيرٌ لنا حيث يدعون لنا بعد الموت وأفضل هذه الثلاثة العلم الذي ينتفع به.

ومثال ذلك أن أبا هريرة رضي الله عنه من أفقه الصحابة في عهد الرسول ﷺ يسقط أحيانًا على الأرض من شدة الجوع، ومع ذلك أكثر المسلمين الآن لا يقرءون إلا روايته فهو من أكثر الذين نقلوا لنا أحاديث رسول الله ﷺ، وهي صدقة جارية ائتوني بأكبر غني كان يتصدّق في عهد أبي هريرة رضي الله عنه، هل بقيت صدقاته الآن؟ الجواب: لا. والإمام أحمد وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله ـ مثلاً ـ كل منهما يدرس لنا وهو في قبره؛ لأن كتبه بين أيدينا، لو نظرت إلى أكبر خليفة، وأكبر تاجر، في عهد ابن تيمية ـ رحمه الله ـ هل وصل خيرهم إلينا الآن اليوم؟! بالطبع لا، إذًا العلم أنفع

الثلاثة، أنفع من الصدقة، فالصدقة الجارية قد تتعثر فكم من صدقة جارية تعثرت وتلفت، والعلم كذلك أنفع من الولد الصالح فالولد الصالح قد يموت خلال عشرين سنة وثلاثين سنة أربعين سنة ثم يموت، لكن العلم النافع الذي ينتفع به المسلمون يبقى إلى ما شاء الله! الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ مثلاً منذ كم وهو ميت، وشيخ الإسلام ابن تيمية، كم له ميت؟ وما زال الناس ينتفعون بعلمهما؟! فاحرص أخي المسلم على العلم فإنه لا يعدله شيء كما قال الإمام أحمد: لمن صحت نيته. فاحرص على العلم الشرعي وعلى مسندات العلم الشرعي ومساعداته؛ كالنحو وما أشبه ذلك مما هو مساعد على العلم الشرعي حتى ينفعك الله وينفع بك، والله الموفق.

* * *

١٦٣- باب ثناء الناس على الميت

١/ ٩٥٠ - عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَرُّوا بِجِنَازَةٍ، فَأثنَوا عَلَيْهَا خَيْرًا، فقال النبيُّ ﷺ: «وَجَبَتْ» ثم مَرُّوا بأُخْرَى، فَأثنوا عَلَيْهَا خَيْرًا، فقال النبيُّ ﷺ: «وَجَبَتْ» ثم مَرُّوا بِأُخْرَى، فَأَثنوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَجَبَتْ» فَقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّاب رضي الله عنه: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «هَذَا أَثنَيتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا؛ فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وهذَا أَثنَيتُم عليه شَرًّا؛ فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أنتُم شُهَدَاءُ اللهِ في الأَرْضِ» متفقٌ عليه[١].

٢/ ٩٥١ - وَعَنْ أَبِي الأَسْوَدِ قَالَ: قَدِمْتُ المَدِينَةَ، فَجَلَسْتُ إلى عُمَرَ بن الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَمَرَّتْ بِهِمْ جِنَازَةٌ، فَأُثني عَلَى صَاحِبِها خَيْرًا فقال عُمَرُ: وَجَبَت، ثم مُرَّ بِأُخْرَى، فَأُثني عَلَى صَاحِبِها خَيرًا، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَت، ثم مُرَّ بِالثَّالِثَةِ، فَأُثني عَلَى صَاحِبها شَرًّا، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَتْ: قَالَ أَبو الأَسْود: فَقُلْتُ: وما وَجَبَتْ يَا أَمير المُؤمِنين؟ قال: قُلْتُ كما قال النَّبيُّ ﷺ: «أيُّمَا مُسلِم شَهِدَ لَهُ أَربعَةٌ بِخير، أَدخلهُ الله الجنَّة» فَقُلنا: وثَلاثَةٌ؟ قال: «وثَلاثَةٌ» فقلنا: واثنان؟ قال: «واثنانِ ثُمَّ لَم نَسأَلْهُ عَنِ الواحِدِ. رواه البخاري[٢].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت. . .، رقم (١٣٦٧)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب فيمن يُثنى عليه خير أو شر من الموتى. . .، رقم (٩٤٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت. . .، رقم (١٣٦٨).

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين: باب ثناء الناس على الميت. ثناء الناس على الميت يعني: ذكره بخير أو بشر، فالميت إذا مات فإما أن يثني الناس عليه خيرًا وإما أن يثنوا عليه شرًّا حسب ما يعلمون من حاله. ثم ذكر المؤلف حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وحديث أبي الأسود مع عمر بن الخطاب، ففي حديث أنس أن النبي ﷺ مَرَّ بجنازة في مجلسه فأثنوا عَلَى صَاحِبِها خيرًا فقال: «**وجبت**»، ثم مروا بجنازة أخرى فأثنوا عليها شرًّا فقال النبي ﷺ: «**وجبت**»، فقال عمر بن الخطاب: ما وجبت يا رسول الله؟ قال: «**أثنيتم على الأول خيرًا؛ فوجبت له الجنة، وأثنيتم على الثاني شرًّا؛ فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض**» والثاني كأنه ـ والله أعلم ـ من المنافقين، والمنافقون في عهد الرسول ﷺ موجودون في المدينة بكثرة، يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر والعياذ بالله ـ والمنافقون في الدرك الأسفل من النار إلا من تاب.

وفي هذا دليلٌ على أن المسلمين إذا أثنوا على الميت خيرًا دلَّ ذلك على أنه من أهل الجنة؛ فوجبت له الجنة، وإذا أثنوا عليه شرًّا دلَّ ذلك على أنه من أهل النار؛ فوجبت له النار، ولا فرق في هذا

بين أن تكون الشهادة في عهد النبي ﷺ أو بعده؛ لأن حديث أبي الأسود مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بعد النبي ﷺ.

وقد تنازل النبي ﷺ إلى أن ذكر من شهد له اثنان بخير كان من أهل الجنة، ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أننا لا نشهد لأحد بجنة ولا نار إلا من يشهد له النبي ﷺ فنشهد لمن شهد له الرسول ﷺ بالجنة ونشهد بالنار لمن شهد له بالنار، فمثال من شهد له بالجنة الخلفاء الأربعة: «**أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي**» وكذلك بقية العشرة المبشرين بالجنة فإن النبي ﷺ قال: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة، وطلحة بن عبيد الله في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة**»(١) هؤلاء عشرة جعلهم النبي ﷺ جميعًا من أهل الجنة، وعكاشة بن المحصن لما أخبر النبي ﷺ: «**أنه يدخل من هذه الأمة الجنة سبعون ألفًا بلا حساب ولا عذاب**».

قال عكاشة بن المحصن: يا رسول الله ادعُ الله أن يجعلني

---

(١) رواه أبوداود، كتاب السنة، باب في الخلفاء...، رقم (٤٦٤٩)، والترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عبدالرحمن بن عوف الزهري رضي الله عنه...، رقم (٣٧٤٧)، وابن ماجه، المقدمة، باب فضائل العشرة رضي الله عنهم...، رقم (١٣٣).

منهم. قال: «أنت منهم» فقام رجل آخر: يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «سبقك بها عكاشة»(١).

ثابت بن القيس رضي الله عنه كان جهوري الصوت، صوته رفيع، ولما نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]، خاف رضي الله عنه وبقي في بيته محبوسًا يبكي يخشى أن يكون حبط عمله؛ لأنه رفيع الصوت، ففقده النبي ﷺ فأرسل إليه، فأخبره الخبر، فقال: «إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة»(٢) فكل من شهد له النبي ﷺ بالجنة نشهد لهم ومن شهد له بالنار فإننا نشهد له بالنار، وقد شهد النبي ﷺ لجماعة بالنار، وكذلك في القرآن، قال الله تعالى في أبي لهب وهو عم النبي ﷺ: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ [المسد: ٣ ـ ٥]. وأخبر ﷺ أن عمه أبا طالب في ضحضاح من نار وعليه نعلان يغلي منهما

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو...، رقم (٥٧٠٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة...، رقم (٢١٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﷺ...، رقم (٤٨٤٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله...، رقم (١١٩).

دماغه[١] والعياذ بالله ـ وجاءه رجل قال: يا رسول الله أين أبي؟ فقال: «أبوك في النار»[٢] وأخبر ﷺ: «أن عمرو بن لحي الخزاعي أنه يجر قُصْبَهُ في النار»[٣].

والحاصل أن من شهد له النبي ﷺ بالنار شهدنا له بالنار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكذلك من أجمعت الأمة على الثناء عليه؛ فإننا نشهد له بالجنة فمثلاً الأئمة أحمد، والشافعي، وأبو حنيفة، ومالك، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وغيرهم من الأئمة رحمهم الله أجمعت الأمة على الثناء عليهم، فنشهد لهم بأنهم من أهل الجنة.

وشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أجمع الناس على الثناء عليه إلا من شذ، والشاذ شذ في النار، يشهد له بالجنة على هذا الرأي، ويؤيد ما ذهب إليه شيخ الإسلام رحمه الله حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي رواه البخاري أن الرسول ﷺ قال: «من شهد له أربعة وثلاثة واثنان» ثم لم يسألوه عن الواحد. نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة المحرَّمين على النار.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذابًا...، رقم (٢١٢).
(٢) رواه أبوداود، كتاب السنة، باب في ذراري المشركين...، رقم (٤٧١٨).
(٣) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب قصة خزاعة...، رقم (٣٥٢١)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون...، رقم (٢٨٥٦).

١٦٤- باب فضل من مات له أولاد صغار

١/ ٩٥٢ - عن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسلِمٍ يَمُوتُ له ثَلاثَةٌ لم يَبلُغُوا الحِنْثَ إلاَّ أَدخَلَهُ الله الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ» متفقٌ عليه(١).

٢/ ٩٥٣ - وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ: رَسُولُ الله ﷺ: «لاَ يَمُوتُ لأحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ ثَلاثَةٌ مِنَ الولدِ لا تَمَسُّهُ النَّارُ إلاَّ تَحِلَّةَ القَسَمِ» متفقٌ عليه(٢).

«وَتَحِلَّةُ القَسَمِ» قولُ الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، وَالوُرُودُ: هَوَ العُبُورُ عَلَى الصِّرَاطِ، وَهُوَ جسْرٌ مَنْصُوبٌ عَلَى ظَهْر جَهَنَّمَ. عَافَانَا اللهُ مِنْهَا».

٣/ ٩٥٤ - وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: جاءَتِ امْرأَةٌ إلى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله ذَهَبَ الرِّجالُ بِحَدِيثكَ، فاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأتيكَ فيه تُعَلِّمُنَا ممَّا عَلَّمَكَ الله، قَالَ: «اجْتَمِعْنَ يَومَ

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب...، رقم (١٢٤٨) واللفظ له، ورواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه...، رقم (٢٦٣٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ...﴾، رقم (٦٦٥٦)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه...، رقم (٢٦٣٢).

كَذَا وَكَذَا» فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ النبيُّ ﷺ فَعَلَّمهُنَّ ممَّا عَلَّمَهُ الله، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُنَّ مِنْ امْرأَةٍ تُقَدِّمُ ثَلاثَة مِنَ الوَلَد إلاَّ كانُوا لهَا حِجابًا مِنَ النَّار» فَقَالتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَاثْنَيْنِ» متفقٌ عليه[(١)].

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين: باب فضل من مات له أولاد صغار يعني: باب الفضل الذي يعطى إياه من مات له أولاد صغار يعني: فاحتسب الأجر من الله عزَّ وجلَّ وصبر ـ ثم ذكر فيه حديث أنس وأبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهم، وكلها تدل على فضل ذلك، أن الإنسان إذا مات له أولاد صغار لم يبلغوا الحنث ـ يعني: لم يبلغوا ـ فإنهم يكونون له سترًا من النار بفضل رحمته إياهم؛ لأن هؤلاء الأولاد الصغار هم محل الرحمة، فالأولاد إذا كبروا استقلوا بأنفسهم، ولم يكن عند والدهم من الرحمة لهم كالرحمة التي عنده للأولاد الصغار، فإذا كان له أولاد صغار وماتوا واحتسب الأجر من الله وهم ثلاثة ـ فإنهم يكونون له سترًا من النار فلا تمسه النار إلا تحلة القسم، يريد بـ «تحلة القسم» قول الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب هل يُجعل للنساء يوم على حدة في العلم. . .، رقم (١٠٢)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه. . .، رقم (٢٦٣٤).

مَّقْضِيًّا ۝ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في اجتماع النساء حتى أتى إليهن النبي ﷺ فعلمهن مما علمه الله وأخبرهن «أنه ما من امرأة يموت لها ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا لم تمسها النار، إلا تحلة القسم»، فقالت امرأة: واثنين؟ فقال: «**واثنين**» وعلى هذا فيكون هذا من فضل الله أيضًا، أنه إذا مات للإنسان اثنان من الولد ذكورًا أو إناثًا ـ ثم صبر واحتسب كان ذلك له حجابًا من النار، والله الموفق.

* * *

١٦٥ـ باب البكاء والخوف عند المرور بقبور الظالمين ومصارعهم وإظهار الافتقار إلى الله تعالى والتحذير من الغفلة عن ذلك

١/٩٥٥ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لأَصْحَابِهِ ـ يَعْنِي لَمَّا وَصَلُوا الحِجْر دِيَارَ ثُمودَ ـ: «لا تَدخُلُوا على هَؤُلاءِ المُعَذَّبِينَ إِلاَّ أنْ تَكونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا باكِين، فلا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لا يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ» متفقٌ عليه[١].

وفي رواية قال: لمَّا مَرَّ رَسُولُ الله ﷺ بِالحِجْرِ قال: «لا تَدْخَلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْ يُصِيبكُمْ مَا أَصَابَهُمْ إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ» ثُمَّ قَنَّعَ رَسُولُ الله ﷺ رَأسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَازَ الوَادي.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين: باب البكاء والخوف عند المرور بقبور الظالمين ومصارعهم وإظهار الافتقار إلى الله تعالى والتحذير من الغفلة عن ذلك خشية أن يصيب الإنسان ما أصابهم، ثم ذكر حديث ابن عمر بمرور النبي ﷺ بالحجر

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب...، رقم (٤٣٣)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا...، رقم (٢٩٨٠).

ديار ثمود ـ وثمود هم قوم صالح الذين أرسل الله إليهم صالحًا عليه الصلاة والسلام ـ فذكرهم بالله ولكنهم كفروا به فقال: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام، ثم أخذتهم الصيحة والرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين، وكان الله تعالى قد أعطاهم قدرة وقوة في نحت الجبال وبناء القصور في السهول، وأصبحوا أمة قوية، ولكن الله تعالى أخذهم برجفة وصيحة فماتوا جميعًا، مر بهم النبي ﷺ في طريقه إلى تبوك، فقال ﷺ: «**لا تدخلوا على هؤلاء إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم ما أصابهم**».

ولهذا نقول: لا يجوز لأحد أن يذهب إلى ديار ثمود للسياحة وينظر إلى مساكنهم؛ لأن هذا وقوع في معصية الرسول ﷺ إلا رجلاً يريد أن يذهب ليعتبر ويكون باكيًا حين مروره بتلك الأماكن، فإن لم يكن باكيًا فإنه لا يجوز أن يدخل عليهم؛ لأنه ربما يصيبه ما أصابهم، ولما مرَّ النبي ﷺ بواديهم قنع رأسه يعني خفضه، وأجاز أي أسرع السير حتى تجاوز الوادي، وبه نعرف خطأ هؤلاء الجهال الذين يذهبون إلى ديار ثمود للسياحة والتنزه ويبقون فيها أيامًا ينظرون آثارهم القديمة، فإن ذلك معصية للرسول ﷺ ومخالفة لهديه وسنته، فإنه ﷺ لما مرَّ بهذه الديار أسرع وقنع رأسه ﷺ حتى جاوز الوادي وحذَّر من أن يسكن الإنسان في مساكن الذين ظلموا

أنفسهم، والذين أهلكهم الله في هذه الأرض خوفًا أن يصيب الإنسان ما أصابهم من عذاب الله إما بكفره بالله عزَّ وجلَّ ـ حتى يستحق هذا العذاب، وإما بعقوبة يعاقب بها وإن لم يكفر، وهو إذا لقي الله تعالى يوم القيامة فالله تعالى بصير بالعباد، والله الموفق.

* * *